الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مفهوم فلسفة الحرب عند هيجل

مذكرة لنيل شهادة الماستر في: تخصص فلسفة عامة

من إعداد الطالب: تحت إشراف:

جاب الله موسى د.مجكدود ربيعة

السنة الجامعيـــة: 2023 /2024

شكروتقـــديـر:

قال تعالى :*(ومن يشكـــــر فإنما يشكـــر لنفســـه)* « لقمان: 12 »

وقال رسوله الكريـــم ﷺ:*"من لم يشكر النـــــاس ، لم يشكـــر الله عـــز وجـــــل"*

أحمد الله تعالى حمـــدا كثيرا طيـــبا مباركا ملئ السمـــوات والأرض على ما أكرمني بـه من اتمامهذا البحث .

ثم أتوجـــه بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى الأستاذة الدكتورة الفاضلة مجكدود ربيـــعة حفظها الله وأطـال في عمرها لتفضلها الكريم بالإشراف على هذا البحث ، وتكرمها بنصحي، وتوجـــيهي حتى اتمامه .

كما أتقدم بجزيل الشكر، والعطاء الى كل يـد رافقتـــنا سوآءا من قريب أو من بعيد .

الإهـــداء

إلى من سعيت دومًا لنيل رضاهم، دونًا عن الناس، أهدي هذا البحث، إليكما:

أمي وأبي الأعزّ على قلبي.

إلى المرأة التي صنعت أيامي وكللتها بالجمال،

زوجتي العزيزة .

إلى من حلّت بركة وجودهم في حياتي، ومن ملأت ضحكاتهم الجميلة عمري، أهدي هذا البحث، لبناتي قرة عيني ملاك ، عهد اليقين، و رغد .إلى اخوتي واخواتي وأقاربي وأصدقائي الاوفياء أولئك الذين يفرحهم نجاحنا، ويحزنهم فشلنا.

الي مفجري السابع من اكتوبر في غزة العزة ، الي الذين يؤمنون بان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة

مقـــدمـــــة

الـــــمقدمـــة

منذ أن نشأ الانسان في هذا العالم وهو يعمل جاهدا بكل ما لديه من قوة وقدرات على تحقيق تقدم حضاري واسع يضمن له العيش الكريم، والسعادة، والأمل والاستقرار إلاأن الشيء الوحيد الذي كان ولا يزال يخشاه هذا الإنسان عموما وإنسان اليوم على وجه التحديد هو تلك الحروب التي تحدث بين الفينة، والأخرى والتي أصبحت تهدده وتهدد بنائه الحضاري وتقضي على أمنه واستقراره وهذا في الوقت الذي أصبح فيه إفناء الجنس البشري في ظرف زمن قصير أمرا ممكنا جدا، وأضحت الحياة السليمة مستحيلة وهو ما زاد وضاعف من قلق وحيرة انسان اليوم وأدى بالمفكرين والعلماء والفلاسفة خاصة باختلاف مذاهبهم إلى معالجة هذا الموضوع ومحاولة إبداء وجهات نظرهم أملين في ذلك الحصول على حلول من أجل بناء حياة حضارية انسانية محضة .

ويعد هيغل أحد أقطاب الفلسفة السياسية الذي أقام أفكاره على نظريات فلسفية عميقة كان من خلالها داعية للحرب معتبرا إياها ضرورة بشرية وهذا هو موضوع بحثنا ومحوره "فلسفة الحرب عند هيغل" باعتبار أن الفترة التي عاش فيها كانت جد حساسة اذ تميزت بالحروب المتتالية وهو الشيء الذي دفعه إلى سن نظرية خاصة اتجاه ما يدور في العالم من أحداث سياسية في تلك الفترة .

ولقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع من باب الرغبة الملحة التي دفعتنا إلى البحث والدراسة وإلقاء الضوء على خفاياه محاولين الوصول إلى نتائج أساسيه تلم بالموضوع من جهة ونظرا للأهمية الكبرى التي يكتسبها هذا الموضوع على الساحة السياسية على وجه الخصوص وفي عصرنا الحالي بوجه عام من جهة أخرى، من هنا ولهذه الأسباب كان السؤال المحوري الذي أثار الموضوع هو: ما موقف هيغل من الحروب التي ما تهدا حتى تشتعل اخرى ؟ وكيف حدد هيغل علاقة الفرد بالدولة وعلاقة الدول فيما بينها في إطار الحرب ؟ .

وبغية التعامل مع الإشكال اعتمدت على المنهج التحليلي لرؤيا مجددة للتعامل مع الموضوع، وقد عدت إلى أمهات كتب "هيغل" كأساس لتحليل أفكاره السياسية، والفلسفية، فرض المنهج المعتمد في الدراسة ، خطة بحثية مقسمة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

اشتملت فصول المقدمة على التعريف بالموضوع الذي يسمح لنا المجال للدخول في متن البحث ،الذي ختتمه بإشكالية ويتبعه تحديد المنهج المتبع، خطة البحث .

حيث تناولنا في الفصل الأول الذي يحمل عنوان "دراسة مفاهيمية " كان بمثابة إطلالة على حياة هيغل ومن خلال تطرق إلى الفترة التي عاش فيها وإبراز أهم مؤلفاته التي أثرى بها الساحة الفلسفية، ثم تطرقنا الى مفهوم الحرب، والمسار التاريخي لفلسفة الحرب الذي كان آخر عنصر في الفصل الأول .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان " حقيقة الحرب واختلاف الآراء حول ظاهرتها والخلفية العامة للحرب " حيث أكد فيه على أن الحرب ضرورة وحقيقة بشرية لا مناص للإفلات كما تطرقنا إلى تضارب الآراء حول هيغل باعتباره داعية للحرب أو على العكس من ذلك دون أن يفوتنا بذلك الإشارة إلى الخلفية العامة للحرب عنده.

وأخيرا الفصل الثالث الذي جاء بعنوان "علاقة الفرد بالدولة والدول الاخرى في إطار الحرب " والذي حدد فيه العلاقات القائمة بين الفرد والدولة باعتباره عنصرا فعالا داخل الدولة ينفعل ويتفاعل وحدد علاقته بها في إطار الحرب أين يتجلى دوره الذي يبرزه انتمائه كما حدد لنا علاقة الدولة بالدول الأخرى .

ثم انتهينا بخاتمة شاملة بالنتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا الذي اعتمدنا فيه المنهج التحليلي عارضين في ذلك مجمل أفكار هيغل التي تخص الموضوع ،والتي استنبطناها من مختلف مؤلفاته ثم محاولة فهمها و تحليلها وذلك بالاستعانة ببعض المراجع الأساسية.

وقد اعتمدنا في إنجازنا لهذا البحث على مصادر أساسية للفيلسوف نذكر منها " فلسفة الحق"، "محاضرات في فلسفة التاريخ "وكذا على بعض المراجع التي ساعدتنا وأهمها على الإطلاق " دراسات هجيلية للإمام عبد الفتاح إمام"، "هيغلوالهيغليةلرينيهسيرو" ... الخ.

وفيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في عملنا هذا نذكر منها تشابه المراجع من حيث المادة العلمية ذلك أننا لا نكاد نجد شيئا جديدا مضافا عند انتقالنا من مرجع إلى آخر بالإضافة إلى نقص الدراسات التي تخص فكرة الحرب عند هيغل .

أتمنى أن يكون بحثي بمثابة شعاع ضئيل من أشعة أفكار هيغل في مجال الحرب، كما أتمنى أن أكون قد وفقت في انجاز هذا البحث المتواضع .

الفصل الأول:

دراسة مفاهيمية.

المبحث الأول: فلسفة ومفهوم الحرب عند هيجل.

المبحث الثاني: المسار التاريخي لفلسفة الحرب قبل هيجل.

المبحث الأول: فلسفة هيغل ومفهوم الحرب

أولا، هيغل حياته ومؤلفاته:

وُلد الفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدريش هيغل في عام 1770، في منطقة شتوتغارت في الجنوب الغربي من ألمانيا، وهو الابن الأكبر بين ثلاثة أبناء لجورج لودفيغ هيغلبيرغ، ووالدته ماريا ماجداليا، وتزوج عام 1811من ماريافون توشر[1]. دخل المدرسة في عمر الثالثة، والتحق بالمدرسة اللاتينية بعمر الخامسة، لقد كان هيجل نشيطا، وقام بتحليل كل الكتب الهامة التي قراها تحليلا مفصلا، والتي اثارت مطالعاته ودراساته للأدب اليوناني حماسة شديدة للحضارة الاثنية بقيتفي نفسه الي النهاية [2]،والتي تعلم فيها أساسيات اللغة اللاتينية ، ثم التحق بثانوية شتوتغارت في العام 1784 .

كما أظهرهيغل روحا ثائرة في السياسة ايضا علي الرغم من ولائه وتأييده للوضع الراهن فقد دافع مجيدا بالاشتراك مع شيلينج عن الثورة الفرنسية [3]

* كتب الفيلسوف جورج هيغل أثناء ذلك مجموعة من الملخصات عن الأُدباء الكلاسيكيين، وفقرات من الصُحف، ومقالات عن الأخلاقيات ، وعن معايير أساسية في الرياضيات، ورتبها حسب التسلسل الأبجدي .

* وقد تعلم اللغة اللاتينية، واليونانية، والعبرية، والفرنسية، والإنجليزية، والتحق بالمدرسة الدينية توبينجشتيفت، وهي تابعة لجامعة توبنغن، وتخرج منها في عام 1793 .

[1] روني الي الفا ،موسوعة اعلام الفلسفة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1992،ص 569.
[2] ول ديورانت،قصة الفلسفة ،مكتبة المعارف ، ترجمة فتح الله المشعشع ، بيروت ، ص375.
[3] المرجعنفسه، ص 376.

*عمل جورج هيغل بعد تخرجه مدرسًا خاصًا في برلين، كما عمل في نفس الوظيفة في فرانكفورت من العام 1797 إلى 1801، كما عمل في أثناء ذلك على إنتاج عدد من الأعمال عن الديانة المسيحية .

توفي هيغل في 14 من شهر تشرين الثاني في عام 1831، في برلين في ألمانيا.حياة جورج هيغل المهنية ، شغل هيغل منصب محاضر في جامعة بينا في عام 1801، حيث كان يلقي محاضرات عن المنطق، والميتافيزيقيا أي: علم ما وراء الطبيعة مع صديقه فريدريش شيلينغ، كما أسسا معًا المجلة النقدية للفلسفة، ثم نشر أول كتاب في الفلسفة بعنوان الفرق بين أنظمة فلسفة فيشتي وشيلينج في عام 1801، وفي عام 1805 شغل منصب بروفيسور في نفس الجامعة، وفي عام 1807م نشر كتابًا بعنوان ظاهرة العقل، إذ يصف في كتابه ظاهرة العقل كيف يرتقي العقل البشري من حالة الوعي الذاتي والعقل والروح والدين إلى ما يُسمى بالمعرفة المطلقة ،كما استطاع في فترة قصيرة من الزمن ان يترأس كرسي الفلسفة في الكليات البروسية [1] .

كتب الفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدريش هيغل عددًا من الكتب في علم الفلسفة على مدار سنوات حياته، إلى جانب عددٍ من المحاضرات عن الجماليات وفلسفة الدين، وتاريخ علم الفلسفة،وله مقالة شهيرة في المعرفة والايمان [2]، وغيرها من المواضيع .وفيما يأتي أهم الكتب التي قام جورج هيغل بتأليفها:

1_ كتاب ظاهرة العقل أو ظاهرة الروح في عام 1807.

2 _كتاب علم المنطق وهو مؤلف من جزأين في عام 1812 وعام 1816.

3 _موسوعة العلوم الفلسفية في عام 1817.وكتاب فلسفة الحق في عام 1821.

[1] رونيه سرو،هيجلوالهيجلية ، ترجمة اودسين العكرة ، دار الطليعة للطبع والنشر،بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص 52

[2] حسين محمد سبيتي ، أعلام فلسفة التاريخ، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص 32 .

ثانيا: تعريف الحرب

1 – تعريف الحرب لغة:

وردت كلمة الحرب عند العرب بعدة معان أشهرها خمسة[1]، وهي:

1 – نقيض السلم، وهي لفظ مؤنث وتصغيرها، حريب بغير الهاء.

2– الشدة والشجاعة يقال: فلان حرب ومحرب: شديد الحرب: شجاع.

3 – العداوة، يقال: أنا حرب لمن حاربني أي: عدو، وقوم حرب أي: أعداء.

4 – إحداد السيوف يقال: حرب السنان أي: أحدها.

5 – نهب المال، يقال: الحرب [بفتحتين] أي: نهب مال الإنسان، وتركه لا شيء له. وكل هذه المعاني ضرورية للقتال، فإن العداوة تدفع إلى إنهاء السلم، وإعداد العدة للحرب ومنها إحداد السيوف والشدة في القتال وخوض المعارك ببسالة للقتل ونهب الأموال.

2– تعريف الحرب اصطلاحا:

اختلف العلماء في تعريف الحرب اصطلاحا،إذ لا يزال تعريف الحرب مائعا يحوطه الغموض، ومع ذلك اخترت بعض التعاريف للحرب وهي: "المنازلة والمقاتلة "اختلاف بين قومين يفصل بقوة السلاح" "ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر". ويمكن أن نصوغ تعريفا مقتضبا للحرب ونقول بأنها: "صراع مسلح بين دولتين أو أكثر أول ما ينبغي التطرق اليه في أي حديث عن الحرب هو تعريف الحرب ذاتها، ففيما تتفق القواميس اللغوية على أن الحرب هي حالة صراع مسلح بين طرفين، هما دولتين في الأغلب (أو بأن

[1] حميد الصغير ، اخلاقيات الحروب في السيرة النبوية ،tpps://ketabonline.com 18 افريل 2024,13:45.

الحرب، كما يقول "لسان العرب"، هي نقيض السلم)، نجد أن المفكرين قداختلفوا في تعريفها. واختلاف المفكرين هذا مرده بطبيعة الحال اختلاف الرؤى الفلسفية والفكرية التي تحكم هذه الرؤى، أي أن لكل مفكر افتراضات فلسفية ،أو فكرية راسخة ومسَلم بها، وليس تعريف الحرب لديه سوى انعكاس لتلك الافتراضات. يعرف شيشرون الحرب بأنها "الكفاح باستخدام القوة"،[1] أما المفكر توماس هوبز فيرى الحرب باعتبارها "حالة يمكن أن تظل موجودة وإن توقفت عملياتها [أي العمليات الحربية]"، وعند دينيس ديديروت "هي تشنج عنيف، يحل بالجسم السياسي"، وهنا لا يمكننا أن نغفل التعريف الشهير لكارل فون كلاوسوتز الذي يعدها "استمرار للسياسة باستخدام وسائل أخرى"، وهي "عمل من أعمال العنف يرمي إلى إجبار عدونا على تنفيذ إرادتنا". إن لكل من هذه التعريفات، كما لاحظ موسلي، خصائصه التي تميزه عن غيره وله نقاط ضعفه وقوته، غير أن كل منها نتاج لمواقف فلسفية واسعة.

وهناك أكثر من اتجاه في تحديد الحرب، ويمكن تمييز مدرستين اثنتين، أولهما مدرسة العقلانية السياسية ،والثانية مدرسة يمكن تسميتها بـ"المدرسة الصراعية الطبيعية". ترى مدرسة العقلانية السياسية أن الحرب حالة يحكمها النظام تقوم بها الدول، ولها بدايات معلنة ونهايات متوقعة، ويتصارع فيها خصماء محددون، والحرب من هذا المنظور هي الحرب كما يفهمها العامة من الناس، أي تلك التي تشمل أحداثا مثل شن الغارات وردها، وحصار الأعداء وغيرها. وبحسب هذه المدرسة فإن الحرب ينبغي أن تقوم بين دولتين، وإلا فإنها لن تكون حربا. الحرب كما يقول جان جاك روسو في كتابه ذائع الصيت "العقد الاجتماعي" هي حالة "علاقة، ليس بين رجل وآخر، بل بين دولة ودولة أخرى"، وهذا التعريف يحصر الأطراف المشتركة في الحروب في الدول، ولهذا فإن هذه المدرسة لا ترى

[1] عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ،ط 2، 1959 ص 77 .

في الصراعاتالمسلحة بين الكيانات السياسية السابقة للدولة، كالقبائل على سبيل المثال، حروبا، كما أن أي نشاط عنيف تقوم به جماعات ضد دولة ما لا يعد حربا .

المبحث الثاني: المسار التاريخي لفلسفة الحرب قبل هيجل.

أولا، مفهوم الحرب عند اليونان:

إذا أردنا أن نتحدث عن الحرب والسلم، والعلاقة بينهما، ومدى ارتباط الواحد منهما بالآخر داخل مجال التفكير الفلسفي، فإن الرحلة الفلسفية ستعود بنا إلى البوادر الأولى للمفهوم: لقد ارتبطت الحرب لدى اليونان القدماء بالعديد من المفاهيم أولها مفهوم البطولة. إن اليونان أعلَوا من شأن البطل، وجعلوه شبه مقدسٍ لديهم. إن البطل اليوناني هو ذلك الرجل الذي يُقبل على مصيره التراجيدي سامعًا طائعًا دون مقاومة. كما ارتبطت الحرب في المرحلة اليونانية أيضًا بالمرويات الشعرية ،التي تحكي عن الملاحم الكبرى، وعن شجاعة اليونانيين الذين قدموا أرواحهم فداء للحروب لأجل نيل لقب البطولة. ونرى في هذا السياق، كيف اكتست الحرب طابعًا بطوليًا تمنح لأصحابها المجد، وتجعل أسماءهم خالدة في أشعار هوميروس، ليترسخوا بذلك داخل الذاكرة الجماعية.[1] فقد شهدت مدن اليونان حروبا مستمرة رغم الاتفاقياتوالمعاهدات بين هذه المدن، حتى أن الإغريق آمنوا بأن الحرب حالةطبيعية، فقبلوها بوصفها جانبا هاما من نظامالطبيعة .[2]

هيرقليطـــس، بالنسبة لهرقليطس اليونانيون عاشو الحروب الطاحنة وخبرو الحرب لادالك اعتبرها هرقليطس ربة الاشياء فهو فيلسوف الصيرورة و النار و الحرب هي أصل لجميع الاشياء و الحرب لديه تحكمهـــا الضرورة التي هي القانون الكلي الدي يحكم العالم .

[1] خليل الناجي ، مفهوم الحرب في الفلسفة السياسية،الجزيرة نت22مارس2024، 11:11 .

[2] احمد فؤاد الأهواني، فخر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ،1954،ص 177.

افلاطـون ، يطلق افلاطون اسم الحرب على الصراع الدائر بين البرابرة، واليونانيين، وقد اشار في محاوراته الى الحرب، وأسباب قيامها وعزاها إلى طبيعة الأهواء، فهي ذات

طبيعة غريزية في الإنسان نفسه[1]، مما اضطره الى ايجاد بديل يقوم مقام ذلك عن طريق التربية الصارمة، في تهذيب قوى النفس الشريرة ذات الأهواء المدمرة، ويقربه من الخير، والعدالة، والفضيلة .

أرسطـــو، يذهب أرسطو إلى أن ما يؤدي إلى بروز هذه الظاهرة أمران :تأصل فكرة النزاع والصراع في نفس الانسان، والثاني تأصل البيئة الاجتماعية في تزكية رمح النزاع، والصراع[2].

[11] احمد فؤاد الأهواني، فخر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، مرجع سابق، ص 176 .

[2] الدكتور حسن مجيد العبيدي ، الفلسفة والحرب،http://baytalhikma.iq، 22 مارس 2024 ، 14:55 .

ثانيا، مفهوم الحرب عند الفلاسفة المسيحيين:

كانت المرحلة اليونانية، بمفاهيمها، وأبطالها وأشعارها الملحمية. بعد ذلك في المرحلة الوسيطة، وهي الفترة التي اقترنت بالمسيحية في تاريخ الفلسفة، تم إضفاء الطابع الديني على فكرة الحرب. فأصبحت الحرب في هذه اللحظة مرتبطة بالأمور الثيولوجية، أصبحت الحرب تُعلن باسم الإله، وتنتهي باسمه أيضًا، إن الحاكم في العصر الوسيط، والذي كان يتخذ شكل ملك أو إمبراطور، كان يقوم بتنصيب نفسه صورة للإله في الأرض، أي أنه هو الممثل الحصري للإله ورغباته، وأوامره، ونواهيه، وبذلك فإن هذا الملك أو الامبراطور، كان يملك الحق الحصري في إعلان الحرب على الذين يدخلون ضمن فئة "غير المؤمنين". وهو مايؤكده المفكر السياسي الإيطالي ماكيافللي، الذي يكون بذلك قد وضع البذرة الأولى لجعل الحروب جوهرية وضرورية. لذلك يرى أنه يجب على الإنسان الدفاع عن وطنه بكل الوسائل المتوفرة. والدفاع الجيد يقتضي بدء القتال أو لا. ذلك أن الحرب لا ينبغي تجنبها، وتأخيرها يكون دوما لصالح العدو [1]كما نعلم أيضًا أن الأمر لم يكن مقتصرًا على الديانة المسيحية، فحتى في الديانة الإسلامية ، توجد أشياء على هذه الشاكلة، ولا يجب أن يثير عجبنا هذا التشابه، نظرًا لإرتباط الديانات السماوية بعضها ببعض. وهنا يمكن الإستعانة بكل من ابن خلدون، وتوما الإكويني، والقديس أوغسطينوس، كما يمكننا اللجوء دائمًا إلى ماكيافيلي[2].

ثالثا، مفهوم الحرب عند فلاسفة الحداثة:

إن الانتقال إلى الفترة الحديثة، هو أن فلاسفة العصر الحديث قد دشنوا تنظيرهم للمسألة بمحاولة أولى، لدفع الحمولة الثيولوجية عن السياسة، أي أنهم حاولوا نزع عباءة الدين عن السياسة، وقد استعانوا في هذه العملية بمفهوم القانون الطبيعي من أجل إخفاء علمنة السياسة. وقد حاولوا بذلك تجنب الدخول في المزيد من الحروب الدينية، لكن هذا الأمر لم

[1]غاستونبوتول، هذه هي الحرب، ترجمة: مروان القنواتي، الطبعة ألولى، منشورات عويدات، بيروت، ،1981 ، ص 18 .
[2]ليو شتراوس، جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 577.

يكن كافيًا لإيقاف الحروب بصفة كاملة. وبدل ذلك، فقد انتقل تبرير الحرب من اللجوء إلى استخدام حجج دينية، إلى مبررات سياسية محضة.

1-عند توماس هوبز:

يعتبر الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز ممن استعان بمصطلحات عصره السياسية، كالمساواة، والقانون الطبيعي، والحقوق الطبيعية للإنسان، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والعدالة،... فان استخدامه لها، كان على نحو يختلف عن استخدام فلاسفة السياسة السابقون لها، أمثال أفلاطون ،أرسطو، القديس توما الكويني، وجروتيوس[1].

ولا يمكننا المرور هنا دونما الحديث عنهذا، الفيلسوف الذي قام بإرساء دعائم الفلسفة السياسية على أسس عقلانية، ويمكن استدعاء أفكار توماس هوبز باعتبارها، بطريقة أو بأخرى، تجد، أو تحاول إيجاد، مبررات لإيقاف الحرب. إن توماس هوبزباعتباره مدشنا لفكرةالعقد الاجتماعي، لم يكن يملك أية مشكلة في طغيان الحاكم أو استبداده، فـ"اللفايتن" الهوبزي يملك الحق المطلق للتصرف كيفما يشاء، ومادام يحافظ على أمن واستقرار الرعية، فليس لها أن تحتج أو تثور ضده. وهكذا فإن الحاكم بالنسبة لهوبز غير مقيد بقانون، فالقانون هو إرادة الحاكم. وبما أن الشعب قد تنازل عن كل سلطاته للحاكم، فإن هذا الأخير ينفصل عن الشعب وإلا يصبح جزءا منه، وإنما يسمو عليه ويمثل بذلك القوة والسيادة التي تنظم المجتمع السياسي[2]. هذه السيادة تتجسد في سلطة عليا متميزة وسامية فوق كل الشعب، فهي سلطة مطلقة غير محدودة،إلا في مداها ولا في مدتها .يتضح مما سبق أن طبيعة

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،1984ص،560 .

[2] إمام عبد الفتاح إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع،1985 ص 306 .

الحرب لدى هوبز، لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم تصوره للحالة الطبيعية، والتي يختصرها في مقولته: حرب الكل ضد الكل. [1]

هل يمكن أن نلوم هوبز الذي يقدم لنا هذا الرأي الذي يبدو متطرفًا؟ إن كل ويلات الحروب التي شهدها جعلته يخشى على نفسه وعلى الآخرين شر اندلاع حرب أخرى، لذلك فقد أعطى للحاكم رفاهية الاستبداد، مادام يوفر الحماية اللازمة لمواطنيه، لكن في نفس الوقت، لا يجب اختزال فلسفة هوبز كاملة في هذه الفقرة القصيرة، فالأمر أعمق وأكثر تعقيدًا مما يبدو عليه،علي سبيل المثال يمثل المجد بالنسبة لهوبز أهم مصدر للذات العقل، والذي يجعله يختلف عن اللذات الحسية ، والجسمية. فكل لذات العقل مستمدة من الفخر، والكبرياءوالاعتزاز بالنفس. وهذا الشعور اتجاه الذات يجعل كل فرد يقارن نفسه بغيره، بحيث يرغب في أن يقدره غيره مثلما يقدر، وبالتالي مستعد لمقاتلة من يحط من قدره[2]،كما أن الحرب الأهليةلا تعرف حدودا يتم من خلالها التمييز بين ما هو داخلي، وما هو خارجي، هي حربتتنافى والصراع الحدودي كخط يفصل بين دولتين. إن الحرب الأهلية هي الوجه السلبي للدولة، أو مرض الدولة. تغيب فيها الحدود، فالذي يتم قتله هو الذي يحمل المواطنة نفسها، الجار، القريب.كما يعتبر الحرب الأهلية من أسوء الحروب التي تتعرض لها الشعوب، لما يستباح فيها من جرائم بفعل تعطل القوانين وانتشار الفوضى. فهي تختلف عن الحروب بين الدول، والتي تكون على العموم أكثر تنظيما، من خلال معرفة الأطراف التي تسيرها، وتحديد الأهدافالتي ترمي إليها. وكذا فالحرب الأهلية بين الأفراد تعيد وضع الدولة في بداية ما قبل السياسة، وإذا كانت الحرب عموما قد ارتبط وجودها بوجود الإنسان في الحالة الطبيعية، ويعم السلم بانتقالالإنسان إلى مجتمع منظم، فإن الحرب الأهلية تطرح

[1] المرجع نفسه،ص306.

[2] الدكتور بلدي عثمان عبد المجيد، الحرب والحرب الأهلية عند توماس هوبز، مجلة مشكلات الحضارة– المجلد – 7،عدد2018، ص 45.

مشكلة دوام الحالة الطبيعية في قلب الحالة الاجتماعيةنفسها، الأمر الذي يجعلها أخطر من الأولى، فخطورتها الأولى تكمن في هزيمة الدولة أمام دولة تحاربها، وإنما في انهيار كيان الدولة نفسها.

عند جون جاك روسو:

فيلسوف آخر من الفلاسفة الذين تحدثوا عن مسألة الحرب والسلم، هو السويسري جون جاك روسوالذييرى طبيعة الكون تقتضي أن يوجد صراع دائمًا. وفي هذا السياق يرفض روسو اطروحة هوبز أيضا، ويعيب عليها لوصفه أن الإنسان كائن شرير بطبعه لا يعرف شيئا عن الطيبة ، فاسد لا يعرف الفضيلة ، فالرجل لا يمكنه أن يكون شريرا لأنه لا يدرك كيف يكون صالحا وذلك راجع لعدم إمكانية استمرار الجميع في سعادة أبدية مُطْلَقة، إضافة إلى أن سعادة الواحد دائمًا ما ترتبط بتعاسة وشقاء الآخر. ويؤدي هذا الأمر إلى كسر سيرورة السلم الذي يتمتع به الطرف الذي يتعرض للأذى! وهذا هو مكمن نشوء الصراعات والنزاعات.هاته الصراعات التي تبدأ في حالة أراد الطرف المعتدى عليه أن يدفع عن نفسه ذلك العدوان.[1]

لكن رغم ذلك، فإن هذا كله غير كافٍ ،لإعلان انطلاق الحرب حسب روسو. وهنا نرى أن هوبز وروسو يختلفان من حيث نظرتيهما لارتباط الطبيعة بالحرب، فهوبز يرى بأن حالة الطبيعة هي حالة حرب دائمة، وبذلك فالحرب هي أمر ينتمي إلى الطبيعة البشرية. بينما يرى روسو عكس ذلك تمامًا. ويقول روسو بأن كل الحروب والصراعات، هي ليست سوى نتيجة لتأثير المجتمع على الإنسان، أو بصيغة أخرى، فإن الإنسان يكون بريئًا، فيأتي المجتمع ويسدي له خدمة جليلة، وهي أنه يجعله كائنًا فاسدًا.

[1] لبطرس عاني ومحمود حيري، المدخل إلى علم السياسة، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5، 1976، ص ص301 – 302 .

لم يكتفي روسو هنا بالحديث عن الحرب، شرحا وتعريفا، بل تجاوز الأمر عن طريق تقديمه لمقترح لحل لهذه الأزمة الإنسانية الكبرى. وقد اقترح لنا مشروعا لتحقيق السلام الدائم، مشروع أقول بأنه غير كوني لأنه يهم فقط الدول الأوروبية، بل ويهم فقط تلك الدول التي تقبل الدخول في الجمعية التي اقترحها روسو. جمعية بقوانين داخلية تمنع عليها مهاجمة بعضها البعض، وفي هذه المسألة الروسوية بعض النظر.

3-عند إيمانويلكانط:

وقد سار على نهجه واتبع طريقه الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط، وذلك عن طريق تقديمه هو الآخر لمشروعه الخاص للسلام الدائم. هذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أهمية كل من مفهوم السلم والحرب داخل الفلسفة السياسية. وربما إن الأمر يمتد إلى الذين لم يُحسبوا في تاريخ الفلسفة على الفلسفة السياسية، فمنهم أيضًا من اهتم بموضوع الحرب وقاربها من وجهة نظره الخاصة، يعتبركانط أن حالة السلم ليست هي حالة الطبيعة ، بل على العكسمن ذلك حالة الصراع والحرب هي ما تعبر عن الحالة الطبيعية للإنسان،وذلك لغياب طرق حقيقية خالية من العنف من أجل تسوية الصراعات وبما أن السلم ليس هو الحالة الطبيعية إذا وجب إنشاءه، وكانط لا يقدم من خلال كتابه نموذجا لسلم دائم،وشامل، وكوني ،وهو بذلك يرفعه من المستوىالسياسي إلى المستوى الأخلاقي ، النابع من العقل العملي.

ولا يتحقق السلم حسب كانطبناءا على حب البشرية فقط ، بل عن طريق النظام الحقوقي بين جميع الناس ، ويقوم هذا النظام على أساس تعاقد مدني، يلزم الجميعلأنه لو تم استثناء فرد أو جماعة من ذلك التعاقد وبقوا في حالة الطبيعة ، تبقي فرصة العودة إلىالحرب قائما دائما معهم ، ومن الخصائص التي يجب أن تطبع هذا التعاقد هو أن يكون قائما على

الحق[1]، ويكون ضامنا للحرية، لكن كيف يمكن التوفيق بين الحريات الخارجية للأفراد، في ضل العيش المشترك ؟ يجيب كانط أنه يمكن ذلك عن طريق تقييد تلك الحرية، لكي تندمج وحرية الآخرين ، أي بشكل لا تتعرض فيه مع حرية الآخرين، ويتم ذلك عن طريق سن قوانين يخضع لها الجميع دون تمييز، ويؤدي ذلك إلى تقليص مجال للحرية المطلقة، ولكن في نفس الوقت يحقق الحرية بالفعل، لكون السلم الدائم يتوقف على ذلك.

[1]بتر اندراسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، ج 3 الهيئة المصرية العامة ، 1977 .

الفصل الثاني:

حقيقة الحرب واختلاف الآراءحول ظاهرتها والخلفية العامة للحرب.

المبحث الأول: كرونولوجية الحرب كظاهرة إنسانية.

المبحث الثاني: طبيعة وحقيقة الحرب عند هيجل.

تمهيد

مما لا جدال فيه أن الحرب هي أعظم الظواهر الاجتماعية لفتا للأنظار، طالما أن علم لاجتماع – كما يقول دوركايم :"هو التاريخ مفهوما من وجهة نظر خاصة"[1] فانه يمكن الزعم بان الحرب أنجبت التاريخ، ويرجع ذلك الى أن التاريخ برمته يمكن أن اعتباره تاريخ الصراع المسلح، وليس من المحتمل ان يتوقف كليا عن أن يكون تاريخ المعارك، لأن الحروب هي أشد علامات التاريخ وضوحا، وهي في الوقت ذاته – أردنا أم لم نرد – الحدود التي تميز التحولات العظيمة للأحداث .

ذلك أنه عن طريق الحرب تحطمت تقريبا كل الحضارات المعروفة، وبنفس المعنى يمكن القول إنه عن طريقها ايضا ظهرت كل الحضارات الجديدة تقريبا ومن خلالها ايضا تأكد التفوق الذي أقام لفترة طويلة او قصيرة نمطا من المجتمعات على رأس البشريةمن هذا يمكن الاقرار بان ظاهرة الحرب – ان لم تكن على سبيل الحصر –هي التي بها يحرك عجلة التاريخ فمن خلالها تزول حضارة وبها تظهر حضارة اخرى وبها أيضا توضح الانماط المختلفة للمجتمعات البشرية المتعددة ومن هنا نستطيع القول بان للحرب فائدة في اتضاح وتبيان نقاط التحول في التاريخ .

ومن هذه الاطلالة الطفيفة عن الحرب وعن قدرتها في لفت الانظار على أنها أعظم الظواهر الانسانية، فهل بهذا الشكل المبسط يمكن اعتباره أن الحرب ظاهرة انسانية بشرية ؟ وان كانت كذلك أو العكس من ذلك فما هو دليلنا ؟ وهل تعد الحرب حقيقة لا مفر منها عند فيلسوفنا هيغل ؟ وإن كانت كذلك فما هي مبرراته لذلك ؟

[1] جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، ترجمة عباس الشربيي، مراجعة وتقديم، د محمد علي محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،1973 ص 19.

المبحث الأول: كرونولوجية الحرب كظاهرة إنسانية.

أولا: التسلسل التاريخي لظاهرة الحرب باعتبارها ظاهرة بشرية عند هيغل :

إن الحرب هي أكثر صور الحياة الاجتماعية وضوحا وتغييرا فهي صورة سريعة حقا للتحول[1]في ضوء ذلك نحاول أن نوضح كيف ان هذه الظاهرة البشرية واضحة وبينة ؟.فلا فرار لنا أو لابد من أن نحاول استعراض فكرة الحرب، وكيفية ظهورها عبر العصور لكي نتمكن من الحكم عليها بأنها ظاهرة بشرية – حقيقة مسلم بها – وبمجرد ذكرنا لمصطلح الحرب فيقابله في أذهاننا مصطلح السلام، وإن قصة سعي الإنسان نحو السلام قصة طويلة وقديمة إذ يذكر المؤرخون أن البشرية حاولت اقامة سلام دائم بين الدول منذ فجر التاريخ، فقد جاء في أقدم معاهدة تحالف أبرمها فرعون مصر (رمسيس الثاني) مع (حتيتار)ملك الحثيين ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد [2] .

وعلى الرغم من أن هذه معاهدة تحالف من أجل إقامة سلام دائم بين الدول إلا أنه رغم ذلك لم تخمد الحروب في بلاد الشعوب الشرقية القديمة، وكذلك بين حكومات المدن اليونانية وإن كانت تصورات الشعوب البدائية عن الكون بوجه عام غامضة غموضا شديدا لدرجة أنه لا يمكن استخلاص تعاليم محددة منها فالأمر على العكس عندما تكون تجاه حضارات تاريخية، إذ أننا نجد في معارفها عن الكون، وفي أساطيرها الدينية سمتين مشتركين:

أ – المكان الضخم الذي تحتله الحرب من هذه المعارف، والأساطير .

[1]جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص 20.

[2] احمد فؤاد الأهواني، فخر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، مرجع سابق،ص 176 .

ب – السمة المحمودة للنشاط الحربي الذي تمارسه الآلهة، وتشجعه وترعاه[1] . ففكرة الحرب وتجسيد هذه الفكرة كان أمرا طبيعيا وشيئا ممجدا، ومكانة ضخمة لممارسة الحرب في الحضارات التاريخية القديمة .

ونحاول ولو بشكل من الايجاز أن نطل إطلالة عن المتيولوجيا الصينية، والتي كانت أكثر ميلا للسلام وكانت البوذية معارضة للحرب، فإن الهند البرهمية على العكس تتميز بسمة حربية ضخمة، فليس هناك شيء في كتبهم المقدسة غير المعارك بين الأربابوالربات والشياطين والمردة ... إلخ، والتي فيها يشارك أحيانا الناس، والقردة، والحيوانات الأخرى، ولتدعيم إقرارنا هذا نجد كتاب (الفيداسVidas) برواية تلك الأساطير، ويخصص أغلب أشعار الملاحم الضخمة مثل الرمايانا لحكاية تلك الحفلات الدينية التي تفيض بأوصاف المعارك، وتكتسي المعابد الهندية بأشكال بارزة تمثل تلك الصراعات وأن الأرباب (اندار) و(ميترا) وفارونا ثم براهما وفسنو وسيفا والربة كالتي ليتصارعون في صخب فوق عرباتهم الحربية[2].

ومن هذه الأساطير القديمة التي اصطبغت بها الحضارات الشرقية القديمة يمكن الإقرار بأن فكرة الحرب قد جسدت – وإن كان هذا الحكم نسبي – لأننا نقرر في أساطير قديمة، إلا أن هذا هو الطابع الفكري الذي كان سائدا في تلك الحقبة الزمنية من التاريخ، والآن هل استمرت هذه الأساطير عن آلهات الحرب في العصور اليونانية أمتغيرت ؟.

فقد شهدت مدن اليونان حروبا مستمرة رغم الاتفاقيات والمعاهدات بين هذه المدن حتى أن الإغريق آمنوا بأن الحرب حالة (طبيعية) فقبلوها بوصفها جانبا هاما من نظامالطبيعة

[1] جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص 23.

[2] المرجعنفسه، ص 24.

[1]فالميتولوجيا الاغريقية تعرض لنا زيوس(Zeus)والأرباب الذين يحاربون التيتان والمردة وتيفا (Tiphee) ونرى كرونوس (Chronos) يناضل ضد أوفيوني (Ophionee) ويحيط بالآلهة مارس (Mars)آلهة الفرقة والخوف والفزع ويشرف بلقب" قاتل الرجال "[2].

وهذه كلها أسماء الآلهة التي زخرت بها الميتولوجيا اليونانية والتي نجدها في أدب الملاحم اليونانية كالإلياذةوالأوديسا، إذن نلاحظ نفس الشيء تقريبا بين أساطير الشعوب الشرقية والشعوب اليونانية وتقريبا نفس النمط من التفكير – فيما يخص فكرة الحرب – فنجدهم يجسمون المظاهر البشرية كالحرب والسلم في آلهة وقلما يوجد سلام بين الآلهة لأن كل واحدة منهم تحاول الفوز والانتصار .

وعلى الرغم من سيادة الحرب نظريا وعلميا عند اليونان فإننا لا ندعم الفلاسفة الذين يدعون إلى السلام الدائم في هذا العصر المبكر من التاريخ، فقد أهاب الفلاسفة الرواقيون منذ القرن الثالث قبل الميلاد بالإنسانية أن تحرر نفسها مما يفرق بين الإنسان وأخيه من فروق اللغات، والأديان، والأوطان ونظروا الى الناس جميعا، وكأنهم أسرةواحدةقانونها العقل ودستورها الأخلاق [3] وسنتتبع عرض فكرة الحرب ومدى تجسيدها في الواقع فنجد أن الرومان قد وضعوا " قانون الشعوب " وهو القانون الذي استهدف تنظيم العلاقات بين روما وغيرها من الأمم، والشعوب وقد تطور هذا القانون فيما بعد فصار أساسا لفكرة القانون الطبيعي وهو مجموعة من المبادئ المثالية للعدل والانصاف وضعت لتكون بمثابة قانون يصلح تطبيقه

[1] أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، مرجع سابق،ص 177.

[2]جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص25.

[3]عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ،ط 2، 1959 ص 89 .

على جميع الشعوب، والاجناس وقد أصبحت هذه القواعد فيما بعد من المصادر الأولى للقانون الدولي الحديث [1] .

وهذا باختصار عن هذه الفكرة ومدى تطبيقها منذ القدم، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحرب شغلت الفكر الانساني منذ القدم وهذا ما فرضته كظاهرة انسانية تماشت في بروزها وبلورتها بين الشعوب .

ثانيا، ظاهرة الحرب في الديانات السماوية:

وما دمنا اعتمدنا في طرحنا في هذا التسلسل التاريخي في ظاهرة الحرب فإننا سننوه أو لابد من الاطلالة على فترة العصور الوسطى فإنه يتبادر الى الذهن مباشرة الديانات السماوية(اليهودية، المسيحية، الاسلام) .

1-كتاب العهد القديم: (التوراة)

من المدهش أن نقرر أنه عندما ظهر مذهب التوحيد أن ننسب إلى الله الأوحد صفات حربية من بين كل الصفات المحتملة المفضلة (والتي يشارك فيها آلهة الأوليمب مثل فلكان وجينونومركيبروسيريز)، وقد كان هو " إله الجيوش " فتبدأ الحرب بأمر صريح من الله ولا يتم شيء دون مشيئة: " لا تجزعوا إن الله الصمد موجود بينكم، إن الصمد إلهك سوف يطرد شيئا فشيئا تلك الأمم بعيدا عن وجهك ... وسوف يهزمها هزيمة ساحقة ويمحوا أسماءهم من تحت السماوات " (التثنية: إصحاح 9.8.7)،أو إذا ما استولى الإسرائيليون على أرض الميعاد فيكون ذلك بأمر من الله، ويقول الصمد: " بالنار ينفذ الله الصمد أحكامه، وبالجسام يعاقب كل لذة، وأولئك الذين سوف يقتلهم الصمد، سيكونون في أعداد كبيرة ...

[1] لبطرس عاني ومحمود حيري، المدخل إلى علم السياسة، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5، 1976، ص ص 301 - 302

وعندما يخرج الناس سوف يرون جثث الرجال الذين ثاروا ضدي ..." (اليسع، 66) [1].ومن خلال هذه النصوص المأخوذة من التوراة نلاحظ أن رب اليهود بحسب اليهود – أنه داعية للحرب لكن في دعوته هذه لا لأجل الخراب أو الدمار بل لأجل الخراب أو الدمار بل لأجل حلول محبة لأن الرب بحسبهم محب لكل خير لكن هذا الخير فيما بينها [2] . وهذا ما يجعلنا نسير خطوة خطوة في تتبع مسيرة الحرب عبر العصور التاريخية الانسانية لأثبات ان فكرة الحرب ليست بدعة أو أسطورة اختلقتها أذهان الناس بل هي واقع معيش عاشته شعوب وشعوب .

وما دمنا نتحدث عن فترة العصور الوسطى وذكرنا اليهودية والمسيحية فمن الضروري الحديث عن رأي الإسلام في مشكلة الحرب .

2- القرآن الكريم :

في القرآن الكريم يعتبر نشر الاسلام بقوة السلاح واجبا دينيا، والحرب هي المثل الأعلى بل هي أمر من الله: " قاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"البقرة 190، وهناك آيات كثيرة تحث على الجهاد في سبيل الله ويدعوا الاسلام أيضا إلى السلام لقوله تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح وتوكل على الله إنه هو السميع العليم"الأنفال61،

فما الدين الاسلامي الحنيف دعوة للحرب، والدمار، والخراب وإنما يدعو إلى الحرب في حالات محددة ومعينة وهي واضحة جلاء الوضوح فهي سور القرآن الكريم فمثلا في حالة الدفاع عن الوطن وفي حالة العرض والمال، كما يدعو الإسلام إلى السلام، والأمان ولن يتحقق هذا الأخير الا بانتشار هذا الدين على كافة الأمم .

[1] جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص26.

[2] بطرس غاني ومحمود خيري، المدخل إلى علم السياسة، مرجع سابق، ص 302.

واستمرت جهود المفكرين في محاولتهم للسعي نحو إقامة سلام دائم بين البشر وكانت هذه المحاولات جدية ونأخذ على سبيل الحصر أبو نصر الفارابي المعلم الثاني – الذي أحصى العلوم بعدما وضعها أرسطو المعلم الأول – فقد كان يدعو في منتصف القرن العاشر في كتابه " آراء اهل المدينة الفاضلة " الذي دعا فيه إلى إقامة اتحاد يربط بين مختلف دول العالم في ظل ما أطلق عليه اسم " المعمورة الفاضلة " حيث يقول: " ... والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة وكذلك المعمورة الفاضلة، وإنما تكون إذا كانت الأمم التي تتعاون على بلوغ السعادة "[1] .

[1] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم الاستاذ: عبد الرحمان بوزيدة، موفم للنشر، 1999، ص 94.

المبحث الثاني: طبيعة وحقيقة الحرب عند هيجل

أولا، مفهوم الحرب عند هيجل

من الطرح السالف الذكر لا ريب ولا شك الآن أن الحرب هي ظاهرة من الظواهر البشرية الانسانية وهذا ما وضح في استتباع هذه الظاهرة وصولا بنا إلى العصر الحديث، وهذا العصر اذا ما ذكر على اللسان تبادر إلى الاذهان هيغل أحد زعماء العصر الحديث لكن الحديث عن وجهة نظر هيغل عن الحرب

فكرة الحروب هو هل هو نفس رأي جميع مفكري وفلاسفة العصر الحديث أم أن هناك اختلاف؟،ونخصص هذه المشكلة ونسلط الضوء على أكبر الفلاسفة السياسيين في العصور الحديثة على الاطلاق وهو الفيلسوف الألماني العظيم جورج وليام فريدريك هيغل فما هي وجهة نظر هيجل عن الحرب ؟ .

فإذا كانت الحرب تمثل إحدى الظواهر البشرية التي لازمت الإنسان منذ فجر التاريخ حتى الآن، فإن ذلك يستتبع أن تقوم الفلسفة الهيغلية بتفسيرها تفسيرا عقليا بحيث لا تكون مجرد شيء "عفوي" أو " طارئ " أو " مصادفة "، لا سبب لها فلا بد من ابراز جانب الضرورة في الظاهرة [1] وهذا يعني أننا ما دمنا نحاول فهم فكرة الحرب من خلال فكر هيغل أو فلسفته فإننا بالضرورة لابد أن نفسر أي شيء موجود بالعقل وما دامت الحرب ظاهرة بشرية فلا بد من إبراز جانب الضرورة في هذه الظاهرة وعلى اعتبار أن الضرورة هي خاصية اساسية للعقل، فلا يكفينا أن نقول بأعلى صوتنا لنشير للحرب وندل على الداعين

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص 13

إليها على أنها خراب، ودمار، وهلاك ... إلخ، لا فذلك كله لا جدوى منه ولا نفع فيه ولا يجعلنا نفهم ظاهرة الحرب فهما عقليا صحيحا .

فإن هذه الظاهرة – الحرب – تحتاج من المفكر أن يقدم لها تفسيرا عقليا يحلل طبيعتها ويشرح وضعها ويبرز ضرورتها ويبين دورها .

ويعد هيغل بوجه عام المدافع بلا خجل عن العنف والحرب ومن الممكن أن نبرئ هيغل من بعض الصيغ المشوبة بالغلو بأن نقرر أنه لم يفعل شيئا سوى أن أقر واقعية دون الموافقة عليها، ولا يبغي من ذلك إلا أن يدافع عن السمة " الحضارية " للعنف فهو يرى أن العنف هو اللحظة التي تحقق فيها الدولة أعلى درجة من الشعور بالذات [1] ويرى هيغل أن ابطال التاريخ أو الفاتحين الكبار من أمثال الإسكندر المقدوني أو يوليوس قيصر أو نابليون بونابارت دمروا كثيرا وقتلوا آلاف البشر في معاركهم ولكن ذلك كان أمرا ضروريا لكيتوصل البشر الى الحقيقة، والنور، بالتالي فكل ما هو واقعي عقلاني، وكل ما يحصل في التاريخ من مجازر، وحروب، وآلام هو شيء ضروري وعقلاني [2].

فإن هيغل هنا يرى في هؤلاء الأبطال الذين شنوا حروبا عديدة فيرجعهذه الحروب على أنها حالة عادية وتحمل صفة الضرورة ذلك لكي تحاول الروح الوصول إلى الحقيقة والنور، وهنا يتضح بجلاء توظيف هيغل أساس من أسس فلسفته وهو مبدأه المثالي والمطلق على أساس أنه اعتبر أن كل ما هو عقلاني واقعي وكل ما هو واقعي عقلاني فمن الطبيعي اذن أن نجد هيغل يوظف مبدأه هذافي فكرة الحرب .

ويعتقد هيغل أن الحرب هي التجربة العظمى في تاريخوحياة الشعوب فهي تظهر في الخارج ما عليه الشعب في الداخل، كما أنها تؤكد حرية الشعبأو تسلبه اياها، كذلك فالحرب

[1] جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص 30

[2] ايزايا برلين، الحرية وخيانتها، الناشر بيمليكو، لندن، 2003، ص181.

ترفع من الروح المعنوية للأفراد حين يشاركون في الدفاع عن وطنهم فيتجاوزون مصلحتهم الخاصة وأنانيتهما لشخصية فيتحدون مع الكل، يبحث المؤرخون عادة عن أسباب مختلفة لهذه الحروب التي تنشب بين الشعوب بعضها البعض [1].

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن هيغلأكد على ضرورة الحرب بصفة عامة وهذا لا يعني أن كل فلاسفة القرن الثامن عشر أكدوا هذه الضرورة بل دافعو عن ضرورة السلام بين الشعوب، ونجد أن هيغل لا يجد غضاضة في القول أنها حالة ضرورية بين الشعوب وأنها تلعب دورا كبيرا في تاريخها .

فالحرب ليست في نظر هيغل نتيجة كراهية شعب لشعب آخر تحرك حياة الشعوب ولا تجعلها تتكامل وتستكين، إنها في نظره دليل على صحة، وسلامة الأخلاق في هذه الشعوب وبدون الحرب تفقد الشعوب تدريجيا معنى الحرية وتتمسك بالحياة المادية وحدهاويقر هيغل: " لا يمكن انكار دور الحرب في تطور الانسان لان مجموعة كبيرة مما تم انجازه طوال التاريخ إنما جاء نتيجة للحرب والنزاع أكثر مما جاء عن طريق الانسجام والتعاون بين البشر "،فضلا عن ذلك فالحرب ظاهرة بارزة في الحياة البشرية ومن ثمة فإن علينا تفسيرها مادام العقل البشري قادر على فهمها بما لها من مضمون وبناء [2] .

ويعود سبب تمجيد هيغل للحرب واتخاذها وسيلة مشروعة لفض النزعات وتسجل البطولات، والتقدم، والازدهار فالحرب عنده ليست ناتجة عن كراهية أو بغض بين الأمم ربما هذا الفهم يتصوره الافراد كأفراد قياسا على ما هو شائع بينهم في صراعاتهم بمعنى يحتمل جدا أن يكره فرد ما فرد آخر لكن على مستوى الشعوب استبعد ذلك فظاهرة الحرب اعتبرها هيغل ظاهرة صحية بالنسبة للشعوب الأخلاقية [3] – وهي الشعوب التي تؤسس الدولة وفي

[1] كامل محمد محمد عويضة، الأعلام من الفلاسفة، هيغل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط 1 ،1993، ص 85.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص138.

[3] هيبوليت، مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيغل، ترجمة أنطوان جان حمصي، وزارة الثقافة، دمشق، ط2، 1871، ص101

ظلها تتحقق الحرية ويصل مواطنوها الى مستوى الوعي الكامل ويشاركون في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية العادلة – .

ومما هو معروف عن حياة هيغل أن مسألة الدين تحتل الصدارة في الفكر الهيغلي، ويبدو أنها هيمنت على تأملاته الشخصية الأولى، ففي الواقع لقد توجه هيغل في البداية توجها كهنوتيا إذ أنه كان طالبا داخليا في المدرسة الإكليريكية البروتيستانتية مدة خمسة أعوام، فقد كانت ألقابه الجامعية كلها ناتجة عن شهادات نالها في اللاهوت، وعلى الرغم من عدوله عن أن يصبح قسا، فإن كتاباته الأولى، كانت مكرسة للمسألة الدينية [1] فهل يعقل من أن هذه الشخصية المتأصلة بجذور دينية أنها ضد الله ومن ثمة ضد الحرية والمواساة ؟ويرى كوفمان أننا نستطيع أن نستطيع أن نفعل ذلك مع أكبر رسل السلام – عن[2]. الاقتباسات المبتورة – فنشوه فكرتهم باقتباسات مبتورة: " فنستطيع مثلا أن نفعل ذلك مع السيد المسيح فنتخيله داعية للحربوالدمار ... " .

[1] وينه سرو،هيغلوالهيلغية، مرجع سابق، ص 44.

[2] كامل محمد محمد عويضة، الأعلام من الفلاسفة، مرجع سابق ص 86.

فلننظر للعبارات التالية: " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا ... " جئت لألقي نارا على الأرض ... أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض ... ؟ كلا .

أقول لكم " ... دع من لا يملك سيفا يبيع ثوبه ويشتري سيفا"[1].

فإن الاقتباسات المبتورة تعمل على تشويه الفكرة لا سيما إذا أخذتبطريقةمغرضة من سياقها المناسب الذي لا يمكن أن تفهم إلا بداخله فهذه العبارات السابقة التي بترت من سياقها فصورت السيد المسيح رسول السلام – إلى نصير للهدم والتدمير، وسفك الدماء وجعله يشعل النار على الأرض بدلا من المحبة – تشبه في كثير من جوانبها العبارات المشوهة التي اقتطعها " بوبر" من سياقها ليرسم صورة لهيغل وكأنه " مارس " آلة الجمع أن هيغل لم يكن قط داعية الى الحرب ولا نصيرا للدمار، لكنه الجراح الماهر الذي يشرح بعمق نافذ نشاط البشر وحياتهم الاجتماعية على مر التاريخ، صحيح أنه لم يسعى إلى سلام دائم لأنه لم يكن " خياليا "حالما يسعى وراء سراب، لكنه في الوقت نفسه لم يمجد الحرب وإنما هو يصور الإطارات التي يعمل فيها الوعيالبشري .

يقول جون بلامينتاس (John plaminatz) في كتابه " الإنسان والمجتمع ": " الدولة عند هيغل لا تتجسد في أفرادها على نحو أكثر قوة مما تكون عليه عندما تشتبكفي حربمع غيرها من الدول، فها هنا يكون إحساس الأفراد بالمجتمع أقوى، وعلى هذا النحو تكون الحرب مفيدة لصحة الشعب الأخلاقية، فهيغل لا يدعو إلى سلام دائم، ولا هو يتوقعه، ومع ذلك فإن اهتمامه بأنه يمجد الحرب يدل على سوء فهم لرأيه كما أن فيه مبالغة شديدة في تصوير موقفه ... "[2] .

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراساتهيغلية، مرجع سابق، ص 143.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، دراساتهيغلية، مرجع سابق، ص 143.

ونجد أن هيغل يعتقد أن قوة الدولة السياسية الحقة لا تظهر في حالة السلم إنما تتجلى في حالة الحروب بشكل واضح بحيث يقر:" بأن صحة الدولة، بصفة عامة، لا تتكشف بقوة في هدوء السلم بقدر ما تتكشف في لهيب الحرب، لأن السلم هو حالة الاستمتاع والنشاط في عزلة لا سيما إذا كانت الحكومة أبوية منتصرة عاقلة لا تطلب من رعاياها سوى مطالب عادية فحسب أما حالة الحرب فإن قوة الترابط التي تجمع أفراد المجتمع في كل واحد تصبح واضحة"، وتلك هي العبارة التي ذكرها هيغل، وأسيئ فهمها مرارا وتكرارا حتى قيل أن فيلسوفنا يمجد الحرب استنادا إليها ؟ مع أن هذا القول لا تتضمنه هذه العبارة على الإطلاق، اذ لم يقل هيغل: " إن الحرب هي صحة الدولة " وإنما قال: " إنهفي حالة الحرب تمتحن هذه الصحة "، والفرق واسع بين القولين فهو يريد أن يقول أنه في حالة المرض تمتحن صحة الجسم، فهل ذلك يعني أننا نمجد المرض ... ؟!"[1] .

ونجد بلاميناتس يستطرد فيشير إلى وجود فضائل اجتماعية وعسكرية تنتج عن الحرب فيقول: ‹‹ لقد خاض البروسيون حربا ضروسا ضد نابليون، و"لقد أدت هذه الحرب إلى إصلاحات داخلية كثيرة، ثم تفجرت الوطنية مما كان له نتائج أخرى طيبة، فليس من الغريب، اذا على رجل ألماني (يقصد هيغل) كان يعيش حرب التحرير أن يعتقد بأن الحربجيدة ومفيدة لصحة الشعب الأخلاقية، لكن هيغل لا يدافع عن الحروب المستمرة أو المتواصلة كما أنه لا يعتقد أن الحرب هي أنبل نشاط بشري " .

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، دار الثقافة لنشر والتوزيع، الكويت، 1993 ص ص 19-20.

غير أن " هانز"كوهنHans Kohn" قام بتنفيذ هذا الرأي وكشف عما فيه من مبالغة خاطئة، وإن كان قد أخطأ بتأييد الرأي المضاد الذي يجعل من هيجل داعية للحرب والدمار، يقول: " إن هيغل يقارن بين الحرب في أهميتها وبين الصحة الأخلاقية للشعوب والريح التي تهب فتحفظ ماء البحر من التلوث والفساد لو مرت عليها فترة طويلة من السكون والركود، فيجهل يقول في ذلك عام 1802 أي قبل عشر سنوات من حرب التحرير " .

و" يستطرد كوهن فيقول: " أن تجميد هيغل للحرب هو الذي أثر على الأقل على نحو غير مباشر في خطب كتابات واحاديث كثيرة من الفلاسفة وكتاب الألمان في الحرب العالمية الأولى " كما يختم كوهن مقاله بقوله: " إن بلامياتسJ.plaminatz لابد قد لاحظ كيف أثر تمجيد هيغل للحرب بقوة في الفكر السياسي في أوروبا بصفة عامة وألمانيا بصفة خاصة " .

ولا شك أن ملاحظة "كوهن" الأولى التي يرى فيها أن آراء هيغل عن الحرب قد كونها قبل حرب التحرير – ملاحظة سليمة بقدر ماهي ذكية – أن ملاحظته الثانية قد جانبها الصواب لحد كبير [1] .

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص ص 143-144.

ونعثر على موقف وسط يمثله خصوصا "فيكتور باشVictor Bash" أحد الذين درسوا المذاهب السياسية للفلسفات المثالية الألمانية دراسة عميقة وافية " فباش " يرى أن الدولة في نظر هيغل هي في مجموعها توفيق بين فلسفة السلطة والحرية، واتجاه فلسفة هيغلالسياسية يعو إلى ايجاد وسط بين الملكية المطلقة والديمقراطية المطلقة بين الفردية المفرطة وبين السيطرة الكاملة للدولة [1] .

ومن خلال ما عرض من اختلاف الآراء حول ما إذا كان هيغل رجعي داعية للحرب أم العكس يمكن أن نستشف عنده ملاحظات وهي:

1-الملاحظة الأولى:

إن عبارات هيغل عن الحرب قليلة ومقتضبة –هي أحيانا غامضة –لهذا فهي لا يمكن أن تفهم بمعزل عن السياق العام لفلسفته .

2- الملاحظة الثانية :

قد ينشأ الخلاف في فهم عبارات هيغل تبعا للنظر إليها من منظورين مختلفين فقد ينظر إلى عبارات هيغل على أنها عبارات آمرة تفرض قاعدة أو مبدأ أو حتى تضع "وصية " للناس ومن هذه الزاوية يتحول هيغل إلى داعية للحرب لكن قد ينظر إليها بمنظور آخر على أنها عبارات وصفية تصف ما هو موجود أو مقرر الأحداث، والوقائع على نحو ما تراها في التاريخ دون أن تمدحها أو تذمها – ومن هذه الزاوية يكون هيغل مجرد "مؤرخ" للحرب فحسب .

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 2، ط 2، بيروت، 1984، ص 594

3-الملاحظة الثالثة :

إن هيغل لم يغير من فكرته عن الحرب على الإطلاق ربما عدل في الصيانة لكن الفكرة ظلت كما هي في كتاباته السياسية الأولى حتى آخر مؤلف له [1].

وبعد أن خلصنا في العنصر الفارط على أن ظاهرة الحرب تعد ظاهرة إنسانية شهدت لها الحوادث التاريخية ما يكفي بالحديث عنها، وبعد تبيين ما رأي هيغل في هذه الظاهرة ،والتي أعدها حقيقة بشرية لما تقدمه من خدمة للبشرية وقد فصلنا في هذه الفكرة في العنصر الماضي .

ثانيا: الخلفية العامة لمفهوم الحرب عند هيغل:

إن من أكثر نتاج هيغل والقسم أكثر شيوعا والأكثر شعبية هو فلسفة التاريخ، فالتاريخ الكلي كما يتصوره عقل هيغل ليس التاريخ الأصلي، أي تاريخ الرواة الأوائل، وليس التاريخ النظري الذي أمثولات عملية، إنه التاريخ الفلسفي الذي يتحكم بالأحداث من وجهة نظر كلية ولا زمنية، فالعقل بالنسبة الى هيغل هو في الواقع جوهر التاريخ بالذات[2]. ويقول هيغل: " أنا متكثر في نحن ونحن مؤتلف في أنا "[3]والمراد بما يقولهيغلأن العقل من حيث هو عنده فرد جمع أو جمع فرد ونحن نشير هنا إلى تأكيده أن المطلق ذات لا يستقيم مع وصفه كأنا.

والعقل بالنسبة لهيغل هو في الواقع جوهر التاريخ بالذات إنه يعتقد مع أنكساغوراس بأن العقل يسوس العالم وبأن وكل شيء في التاريخ، أو في غيره قد جرى بصورة عقلية، فالتاريخ

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 145.

[2] – رينيه سرو، هيجلوالهيجلية، مرجع سابق، ص .40

[3] – هيغل، فينوميولوجيا الفكر، ترجمة وتعليق " مصطفى صفوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 156.

هو تطور لمنطق محايث لا تشكل فيه الشخصيات التاريخية الكبرى سوىأدواته اللاواعية، إذ تحركهم أهوائهم ويحققون مصالحهم، لكن " تتحقق في الوقت نفسه غاية أكثر بعدا ولا يعونها ولم تكن نيتهم" – هذا ما يسميه هيغل بدهاء العقل [1] .

وقد استعمل هيغل مصطلح " دهاء العقل " للدلالة على الفكرة العامة المستترة وراء الأفكار الجزئية المتعارضةالمتصارعة، والمتجابهة في الحياة، فالمصطلح الفردية يحطم بعضها البعض الآخر، دون أن تنال من المصلحة العامة، التي تتحرك بمقتضى النوازع والانفعالات الشهوانية، حتى تحقق ذاتها، ففي اعتقاد هيغل أن الفرد أو الجزئي لا قيمةله بجانب الكلي فالأفراد كأفراد يذهبون ضحايا إما موتا أو نبذا وشقوة، ويقابل هذا السقوط ثبات الفكرة العامة ورسوخها لدى الشعب الذي يحملها في علو وافتخار ومن أجلها يتصدى لكل العقبات، ويقاوم كل الغزوات محافظا عليها [2].

وفي بعض الحقبات تتحطم " بنية الروح لدى شعب من الشعوب "لأنهاتكون قدتآكلتوفرغتمن جوهرها، غير أن التاريخ الكلي يتابع سيره إلى الأمام، عند ذلك تحصل الصدمات الكبرى بين المؤسسات القائمة حتى ذلك الوقت والإمكانيات المعارضة لهذا المنتظم فتفوضه، لكن لهذه الصدمات مضمونا يبدو جيدا، بل ضروريا، لذلك تصبح هذه الإمكانيات تاريخية، اذ أنها تنطوي على أساس كلي يختلف عن الأساس الذي كانت تقوم عليه البنية الراهنة لهذا الشعب أو لتلك الدولة، هذا الكلي إنما يستولي عليه عظماء التاريخ ويجعلون منه غايتهم الخاصة،

[1] – رنيهسرو،هيجلوالهيجلية، مرجع سابق، ص41 .

[2] – ريمون رويه، نقد المجتمع المعاصر، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1978، ص 111.

وإذ يحققون مطامحهم فإنهم يحققون في الوقت نفسه الغاية التي تتناسب مع المفهوم الأعلى للروح، وهكذا يظهر ديالكتيك التاريخ، وإن ما يحقق تقدم البشرية هو التناقضات، والصدمات (حروب، انقلابات أو ثورات)[1].

التي تؤدي إلى احالة التي حقيقتها، أما الحقبات السعيدة، أي تلك التي يسود فيها الانسجام وتغيب التناقضات، فليست حقبات تاريخية [2] .

ومن هنا يتضح لنا ولو بصورة جزئية بسيطة عن المفهوم الأعلى للروح، وظهور الديالكتيك التاريخي، أنه من الملفت للانتباه أنه – بالنسبة لهيغل أن ما يحقق التقدم البشرية هو تلك الحروب أو الثورات والانقلابات، وقد بدأ هيغل في محاولة منه توضيح فكرة الحرب في خلفيتها العامة – بالاستناد إلى مصدره " أصول فلسفة الحق " فيبدأ هيغل بمناقشة النظريات التقليدية المألوفة عن الحرب والخدمة العسكرية وهي النظريات التي كانت تدين الحرب على أسس أخلاقية، ولكنها تجد نفسها في النهاية مضطرة إلى البحث عن مبرر لمشروعية القتال، وللقيام بلون من ألوان الخدمة العسكرية التي تكلف بها المواطنين للخدمة العسكرية بحجة الدفاع عن أنفسهم وعن ممتلكاتهم والحق أنها بذلك تضع نفسها في إحراج منطقي واضح: إذ كيف يمكن للسلطة السياسية [3].

أن تصدر أمرا للمواطنين بالقتال، والخدمة العسكرية، وبالتالي تجعلهم يعرضون أنفسهم للموت، أو التشويه، أو الإصابات بعاهات أو حتى بجروح أو أمراض عضويةونفسية ... في حين أنها تجد في الوقت نفسه، أن ما يبرر ذلك هو سلامة الفرد والمحافظة على ممتلكاته، وحماية أسرته، وصيانة ثورته: ماله وأرضه وعرضه ... إلخ .

---

[1] رنيهسرو،هيجلوالهيجلية، مرجع سابق، ص41 .

[2] – المرجع نفسه، ص 41 .

[3] إمام عبد الفتاح، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 146.

ويرى هيغل أن أمثال هذه النظريات التي تذهب إلى أن الفرد يعرض نفسه للموت أو الخطر دفاعا عن نفسه أو أسرته وممتلكاته، مجرد لغو فارغ، إذ لا يمكنأن نفسر أن الحرب من منظور فردي ذاتي يمثل مصلحة الفرد الشخصية أو ما يسميههيغل باسم " المجتمع المدني " ويقول هيغل أنه لو صحت هذه النظرية لكان الأقرب إلى العقل والمنطق أن يتفنن الفرد في الإفلات من الخدمة العسكرية إذا ما وجدت طريقا آخر أكثر أمانا لنفسه ولأسرتهمن طريق الحرب، إننا بمثل هذه النظرية التقليدية نقدم له المبرر العقلي الذي يلوذ بواسطته إلى ملجأ آمن ما دامت تلك الغاية النهائية من الحرب [1].

ولقد رد هيغل وبشكل سريع في عدم قبوله لهذه النظرية وأفكاره التقليدية حيث يقر في كتابه: " أصول فلسفة الحق "، فيقول: " من الخطأ البالغ أن نظن أن مطلب التضحية(بملكية الفرد، حياته ... إلخ)ينتج من النظرإلى الدولة على أنها مجتمع مدني محض(وهو التنظيم الاجتماعي الذي يهتم فيه الفرد بمصالحه الخاصة) ومن النظر إلى غايتها النهائية على أنها ليست سوى ضمان حياة الأفراد، وممتلكاتهم، إن هذا الضمان لا يمكن أن يتحقق بالتضحية بما يجب على الدولة ضمانه "[2].فإذا كان الهدف هو ضمان ممتلكات الناس فسوف يكون من الخلف أن نطالبهم بالتضحية بها بل على العكس ينبغي علينا أن نضمن حمايتها .

[1]إمام عبد الفتاح، دراسات هيغلية، مرجع سابق،ص 147.

[2] – هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة والنشر، القاهرة، 1981، ص 149.

ويلفت هيغل النظر إلى أن انهيار الدولة القديمة لم يبدأ من الناحية التاريخية إلا عندما شعر الناس أنهم يحاربون من أجل ثروتهم أو ملكيتهم فحسب، عندئذ لم يشعروا بميل إلى القتال والمغامرة بحياتهم، إذ لو كانت الحرب التي يشنها الناس لا تستهدف إلا الدفاع عن هذه الملكية فحسب فإن هناك الكثير من الطرق التي يمكن الالتجاء إليها وتكاليفها أقل بكثير من أن يموت المرء من أجلها [1] .

فيقول هيغل: " أن الوعي بالذات لا يكون في ذاته ولذاته إلا في حين يكون ومن حيث يكون في ذاته ولذاته لوعي الآخر بالذات، أي من حيث هو ملاق منه عرفانا بكونه كذلك وإن تصور وحدة الوعي بالذات في تضاعفه أو تصور اللاتناهي في تحققه في الوعيبالذات"[2]فاللاتناهي عند هيغلعلى غير اللاتناهي الرياضي الذي هو خاصية للمقدار أو العدد.

فالواقع أن الفرد عندما يحـــارب في سبيل الدولـــة فإنه يبرهن بذلك على عكس النظرية السابقة، فإنه على استعداد لتجاوز الـــقيم المادية بما فيهـــا ثروته، وممتلـكاته وأسرته... إلخ. وعندما كان الفرد لا يزال موجـــودا داخل الأسرة فإن الأســـرة كانت تعتبر غايـــته وهذه الغـــاية هي النسبـــة إليه غاية كـــلية فهو لا يقـاتل، ولا يصـــارع من أجل نفسه وحدها ولا من أجـــلنفسه وحدها ولا من أجل مصالحه الخاصة الفردية لكنه يكافح بالضرورة من أجل الغاية الكلية [3] .

ومن هنا فإن الحرب عند هيغل تبرهن على ما نؤمن به في أوقات السلم من أن هذه الأشياء المادية التي نقتنيها ونعزها أشياء (فانية) و(زائلة) أو هي بلغة الفلسفة الهيغلية

[1] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 147.

[2] – هيغل، فينومينولوجيا الفكر،مصدر سابق، ص 156 .

[3] – ولترستيس، فلسفة هيغل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، تقديم د. زكي نجيب محمود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1975، ص 578 .

أشياء متناهية، ثم تأتي الحرب لتضع هذه المواعظ " موضع الجد " أعني لتحقق بالفعل المضمون الذي يتحدث فيه الخطباء والوعاظ .

ونجد نص هيغل يقر فيه أن الحرب تأتي لتبرهن على صحة ما كنا نؤمن به في حياتنا الفعلية، ربما من غير وعي وهو أن هذه الأشياء المادية التي نمتلكها زائلة، وفي ذلك يقول :" لا شك أن الحرب تجلب معها زعزعة الملكية الخاصة، وتعرضها للخطر لكن هذه الزعزعة اللاأمن ليست سوى تأكيد لطابع الأشياء العابر ومصيرها المحتوم، إننا نسمع الكثير من المواعظ التي يلقيها الوعاظ، والمبشرون عن بطلان الأشياء الزمانية العابرة، وما فيها من اللاأمن وعدم الاستقرار، ولكن كل فرد من المستمعين بالغا مبالغ تأثيره بما يسمع يعتقد أنه هو نفسه على الأقل سوفيتمكن من الاحتفاظ بما يملك، فإذا ما ظهر هذا اللاأمن الآن على المسرح في صورة فرسان يشهرون سيوفا تلمع في السماء، فيحققون بذلك وفي جدية ما كان يقول الوعاظ، عندئذ تنقلب جميع الخطب المنمقة، والمؤثرة والتي تنبأت بكل هذه الأحداث إلى لعنات ضد الغزاة ... "[1] .

ولدينا فقرة أخرى لهيغل يعبر بها عن فكرة الحرب حيث يقول: " الحرب هي حالة تعالج على نحو جادتفاهة الخيرات الزمانية، والأشياء العابرة، وهي تفاهة كانتفي أوقات أخرى موضوعا شائعا للمواعظ المنمقة – وهذا ما يجعلها تمثل اللحظة التي تبلغ فيها مثالية الجزئي حقها وتوجد بالفعل، فللحرب ذلك المغزى الرفيع، إذ بفضلفاعليتها كما قلت فيمكان آخر تحافظالشعوب علىصحتهاالأخلاقية حين تقف موقف اللامبالاةمن المؤسسات المتناهية، تماما مثل هبوب الرياح يحفظ ماء البحر من التلوث الذي يأتي نتيجة فترة طويلة من

[1] – هيغل، أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 202 .

السكون، والركود"[1]. ويستطرد قائلا: "... كذلك فإن فساد الأمم قد يوجه نتيجة لفترة طويلة من السلام: دع عنك السلام الدائم ... "[2] .

وكثيرا ما يقتبس كلام هيغل بالسلب عليه مع أنه من الواضح أن كلامه عن الحرب لا يقول أكثر مما نؤمن به في حياتنا اليومية بأن الأشياء المادية فانية وزائلة أي أن طبيعتها متناهية، ثم تأتي الحرب لتبرز ما هو كامن أو ضمني في داخله وتظهره إلى العلن الصريح، ومن هنا فهي تجعل الشعوب تقف موقف اللامبالاة من المؤسسات ومن المنشآت المتناهية فلا يهم في حالة الحرب أن يهدمهذا المنزل أو ذاك أو أن يدمر هذا المصنع أوذاك الجسر، وأن تشتعل النيران في هذه المؤسسة أو تلك، ولا أن يموت زرع أو يهلك ضرع ... إلخ .

إنماالمهم أن تنتصر وهكذا ترفع الدولة شعار (لابد من الصمود)(لا خطوة إلى الوراء)، لابد أن ننجح في تدعيم الدولة، واثبات حقها في الوجود بغض النظر عما يحدث من دمار، وخراب هنا أو هناك ونحن بذلك نتجاوز مجتمع المصالح الشخصية أو ما يسميه هيغل " بالمجتمع المدني " بما فيه من قيم نسبية محدودة وهكذا تكون الحرب هي البرهان الحاسم على هذه الطبيعة الزائلة التي هي ماهية الخيرات والمادية المتناهية في العالم [3] .

فالحرب إذن هي البرهان الحاسم على أن قيم المجتمع المدني، ليست سوى قيم نسبية محدودة، لا بد أن تزول في مرحلة من المراحل، وتؤدي هذه الفكرة بهيغل إلى استخلاصالنتيجة الجذرية التالية: " أن أحد أخطار السلم الدائم هو ظهور الوهم، بأن قوى المجتمع المدني هي، قوى سامية ومطلقة، ففي أوقات السلم يميل الأفراد ميلا قويا إلى اعتبار مصالحهم الشخصية، ومنافعهم الذاتية الخاصة، هي الأساس النهائي والحجة الأخيرة

[1] – المصدر نفسه، ص 210 .

[2] – المصدر نفسه، ص 210 .

[3] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 150 .

للتنظيم الاجتماعي"[1]، ومن هنا فإن هيغل مرارا إلى المجتمع المدني، رغم أنه لحظة جوهرية في تطور العلاقات البشرية، فإنه ينبغي ألا ينظر إليه على أنه لحظة جوهرية في تطور العلاقات البشرية، فإنه ينبغي ألا ينظر إليه على أنه الغاية النهائية للحياة البشرية، فإذا ما أعتقد الناس أنه ليس ثمة شيء وراء " المجتمع المدني "أن هذا الشكل من أشكال الحياة البشرية هو نهاية المطاف، فإنهم بذلك يصلون إلى انحلال التنظيم الاجتماعي، فهذا الاعتقاد هو الخطوة الأولى في طريق التفكك، والانحلال، ومن هنا فقط ذهب هيغل إلى أنالحرب هي تذكرة الموت (كالجمجمة التي تتخذ شعارا يذكر الناس بالموت) ، التي تهز الموجودات البشرية ، وتخرجهم من حدود مصالحهم الضيقة [2] .

ونجد هنا تحليلا لهيغل وذلك بالاستناد إلى مصدره فهل يقول: " تمتد الحياة المدنية في حالة السلم امتداداموصولا وتستقر جميع مجلاتها، وفي النهاية يصيب الناس الركود، وذلك أن خصاصهم تتحجم شيئا فشيئا، لكن الصحة تقتضي وحدة الجسم، فإذا ما تصلبت أجزاؤه في انطوائية، وعزلة فذلك هو المرض"[3] .

والواقع أنه ينبغي علينا أن نقرأ أمثال هذه العبارات بشيء من الروية والتدبر، والإمعان لنجد أننا أمام الفيلسوف لا يستهدف تمجيد الحرب بقدر ما ينبغي تشريح هذهالظاهرة البشرية بمصبغ العقل، وبغض النظر عن العواطف، والانفعالات– يبين لنا دورها في المجتمع وتطور تاريخ العامة .

ومن هنا فهو يكشف لنا عما في الحرب من مغزى مستمر يمكن وراء الأسباب الظاهرة المباشرة والتي قد تكون هي التي عجلت بهذه الحرب الجزئية أو تلك– ويطالبنا أن

---

[1]– المرجع نفسه، ص 151 .

[2] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق،ص 151 .

[3] – هيغل، فيمنولوجيا الفكر، مصدر سابق، ص 295 .

نحاول فمنهج فيمنو لوجيا الحرب في سياقها الواسع حتيتسنى لنا تقدير وضعها بدقة وتقييمه تقييما سليما بقدر المستطاع، لأن على الفلسفة هنا كما هو الحال في كل مكان آخر [1] .

والآن نحاول عرض نص هيغل من مصدره فلسفة الحق، وهو نص كغيره منتصوص هيغل التي أسيء فهمها والنص والآتي:

إن اللحظة الأخلاقية في الحرب منتظمة فيما سبق أن قلنا في هذه الفترة اذ ينبغي ألا ينظر إلى الحرب على أنها شر مطلق، وعلى أنها مجرد حادث خارجي عارض لها فينفسها من ثم سبب عارض ليكن هذا السبب أو ذاك مثل: ألوان الظلم، أو أهواء الأمم، أو أهواء المهيمنين على السلطة ... إلخ، أو باختصار هذا السبب أو ذاك من الأمور التي ما كان ينبغي لها أن توجد ؟ فالأحداث العريضة إنما تقع لما هو بطبيعته عرضي، وهكذا يكون القدر الذي تحدث به عبارة عن ضرورة، وهنا كما هي الحال في أي مكان آخر تزول وجهة النظر التي تبدو منها الأمور أحداثا عارضة تماما، اذا ما نظرنا إلى هذه الأمور في ضوء الفلسفة والفكرة الشاملة، لأن الفلسفة تعرف أن العرضي هو مظهر وترى الضرورة في قلب ما هيته، فمن الضروري أن يوضع المتناهي كالملكية، والحياة على نحو قاطع بوصفهما أمرين عارضين لأن العرضية هي الفكرة الشاملةللمتناهي ... "[2] .

[1] – إمام عبد الفتاح إمام ،دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 152

[2] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 109

ومن هذا النص يتضح لنا عدة أفكار هيغلية كما أقر ذلك إمام عبد الفتاح نحاول إيجازها فيما يلي:

1-مهمة الفلسفة هي تفسير الواقع من حولنا تخسيرا عقليا والتفسير العقلي يعني إبراز الوقائع المفككة في صورة عقلية مترابطة ترابطا ضروريا، فالتفسير لا يكون عقليا إذا ما فسر الوقائع بأنها عرضية، فحين القول أن هذا الحدث وقع مصادفة فكأنك تقول أن لا سبب له .وبالتالي لا تفسير له،أما التفسير العقلي أو الضروري فهو الذي المبرر الذي يجعله(لابد) أن يحدث وهذا التفسير هو الذي يقبله العقل لأنه يجد نفسهفيه [1].

2- ذلك أن مهمة الفلسفة أنتكتشف الضرورة أو ما يسميه هيغل بالفكرة الشاملة، وهو يعني عند هيغل الطبيعة العقلية للشيء التي تجمع بين وجوده وماهيته معا .

والفكرة الشاملة للحرب هي الطبيعة العقلية للحرب مع تحققها الفعلي طوال مراحل التاريخ لا كما نتخيلها أو نتمناها وإنما على نحو ما حدثت فعلا مهما تجلب معها من آلام وغالبا ما بلغت قسوة التفسير الذي تنتمي إليه .

3- إذا كنا نؤمن حقا بأن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهي زينة عابرة إذ لايمكن أن يكتب لها الدوام أو الخلود، معنى ذلك أننا نؤمن بأنها أمور محدودةبحدود هذه الحياة، أي أنها زائلة أو هي بلغة الفلسفة الهيغلية نسبية وليست مطلقةوهي أشياء محدودة بفترة زمانية أو هي أمور متناهية (فلا بد أن تزول)وإذاأردنا أن تظهر إدراك طبيعتها العقلية فإنها لا يمكن أن تكون واضحة على نحو بارز أكثر مما تظهر عليه أثناء الحرب التي هي كشف كامل للطبيعة المتناهية للملكية بل وللحياة نفسها فهي البرهنة القاطعة على أنها أمورمتناهية وفانية وزائلة وعابرة توجد اليوم وقد لا توجد غدا [2].

[1] – إمام عبد الفتاح إمام ،دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص ص 153 – 154.

[2] – إمام عبد الفتاح إمام ،دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 155-156

وما يمكن قوله الآن فتلك هي الخلفية العـامة لوجهة نظر هيغل عن الحـــرب

ثالثا: اختلاف الآراء حول ظاهرة الحرب عند هيغل :

إن كل ظاهرة من الظواهر الإنسانية تثير الفضول لدى المفكرين لإثارتها ومناقشتها ومحاولة تحليلها وتباين فوائدها وقيمتها وأيضا سلبياتها، هوالحال في ظاهرة الحرب ورأي هيغل فيها بعد أن اعتبرها حقيقة بشرية وضرورية لا مفرمنها .

فإن هذا العرض هو تعبير عن موقف واحد هو لهيغل فهل هذا هو رأي المفكرين من بعده أو مما عاصروه ؟ أم أن هناك اختلاف للآراء حول ظاهرة الحرب عند هيغل ؟ .

إن ما قاله هيغل عن الحرب قد أثار الكثير من التأويلات بين خصومه وأنصاره على السواء وكما انقسم المفكرون إلى فريقين في دراستهم لمشكلة الحرب، والسلام بصفة عامة، فقد انقسم الباحثون في الفلسفة الهيلغية إلى مجموعتين أيضا:

المجموعة الأولى، فنجد فريق يرى أن هيغلكان داعية للحرب ومعارضا للسلامأنه أخذ يمجد فيها على نحو جعله الداعية الأولى " للنازية وللنزاعات القومية المتعصبة "، "ومذاهب السلطة الجامعة "وغيرها من النظم الدكتاتورية العسكرية [1] فالملاحظ في هذا الموقف والذي يجعل هيغل داعية للحرب لا للسلام، لكن هذا الرأي أو هذا الإتجاه لم يفهم ولم يدرك الفهم الحقيقي لظاهرة الحرب عند هيغل، فنظر إليها على أنها وسيلة دمار وخراب لا أكثر لا على اعتبارها ضرورة لظهور عهد جديد وذهاب عهد آخر، فهذا الرأي اتخذ الجانب السلبي أو الرؤية السلبية للحرب عند هيغل .

والمجموعة الثانية، منهم من يجعل هيغل ويصفونه بالرجعية وداعيا إلى الملكية البروسية وموحيا بالدعوة إلى القوة التي ترى في الحرب وسيلة لا غنى عنها للدولة في نموها

[2] ونجد الليبرالي رودولف هيم أن هيجل رجعي وهي رؤية قليكيرو رويتك نفسها التي تقود فكر الحزب الدستوري في ألمانيا الكبرى [3] .

[1] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 138

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق،ص593 .

[3] وائل غالي، نهاية الفلسفة، دراسة في فكر هيغل، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ج 1، 1997، ص135 .

ومن الملاحظ هنا أن هذه الآراء تنقد المروجين للحرب ويبذلون جهدهم في بيان أن جانب التخريب والتأخر يفوق الجانب الإيجابي والبعض الآخر مثل ارازم ورابليه وعلى الخصوص الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر بإستثناء (جون جاك روسو) يبذل وسعه لنفي صفة القداسة عن الحرب ويعرضونها في صورة مغامرة تتنازعها السخرية والتفاهة ويسبغون على موضعها من الدعابة السوداء [1] وإن حديثنا عن فلاسفة القرن الثامن عشر فإنه لمن المؤكد ينقدون هيغل – على اعتبار أنه من نفس العصر – فإننا نلمس أن هذا الفريق الذي جعل هيغل داعية للحروب وممجدا للقتال وبالتالي مسؤولا عن النزعة العسكرية العنصرية عند الألمان فيقف على قمته عالم المنطق الشهير " كارل بوبر" الذي كتب كتابا هاما هو " المجتمع المفتوح وأعدائه " وهو يضع في ذهنه اساسا تنفيذ الفلسفة السياسية عند هيغل "الفاشي الأول" على حد تعبيره ذلك لأن النازية قد استمدت من هيغل مبررات قيامها" فكل أمة في رأي هيغل ترغب في الظهور الى الوجود عليها أن تؤكد فرديتها وروحها بالظهور على مسرح التاريخ أعني بأن تقاتل الأمم الأخرى "[2] .

[1] جاستولبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص32.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 139.

ومن الملاحظ هنا أن كارل بوبر – وبالطبع هو من الاتجاه الذي يرى في الحرب الجانب السلبي – فقد اعتبر أن النازية استمدت واستنبطت من هيغل مبرراته قيامها، فهو يفسر فكرة هيغل عن الحرب بأن أي أمة ترغب في الوجود والبروز فما عليها إلاأن تأكد باسم الفردية، والروح للبروز على مسرح التاريخ وباختصار أن تقاتل وتقوم بالحروب كذريعة للبروز، والظهور .

ويستطرد بوبر قائلا: "أن الهدف من القتال هو في رأي هيغل السيطرة وسيادة العالم " ومن ذلك نستطيع القول أن هيغل مثل هيراقليطس كان يعتقد أن الحرب أب وملك كل شيء، وأن الحرب عدل وحق وتاريخ العالم هو محكمة العالم .

فإذا كان هيراقليطس قد ذهب قديما إلى أن الحرب عامة تسري على كل شيء، وأن جميع الاشياء تكون وتفسد بالتنازع، فإن هيغل حديثا يوسع هذه النظرية ويدعمها، ويمد

فكرتها الى عالم الطبيعة عندما يشرح تعارض الاشياء وصراعها،" فهناك لون من ألوان الحرب هو بمثابة القوة المحركة لتطور الطبيعة "[1] .

[1] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 140 .

وقد قال كارل بوبر في كتابه "المجتمع المفتوح وأعدائه": " ليس من قبيل المصادفات أن يكون هيغل – الذي تبنى معظم آراء هيراقليطس ونقلها غلى المذاهب التاريخية الحديثة – لسان حال الرجعية ضد الثورة الفرنسية ... " .

ويقول في مكان أخر من نفس الكتاب: " ... ولقد كان دور هيغل أن يلبي هذه الحاجة فلباها بإحياء أفكار المعارضين الأوائل للمجتمع المفتوح: هيراقليطس، وأفلاطون وارسطو – فكما أن الثورة الفرنسية أعادت اكتشاف الأفكار الخالدة عن الحرية، والإخاء، والمساواة بين الناس جميعا، فإن هيغل قد أعاد اكتشاف الأفكار الافلاطونية المعارضة للثورة الفرنسية أعنى أفكارا ضد العقل، والحرية ... "[1] .وهذه الأقوال بغرض عرض رجعية هيغل في رأيه عن الثورة الفرنسية – .

وبالتالي فأن هيغل في رأي بوبر يعتقد أن القوة هي التي تحرك العالم كله بما فيه الحياة الاجتماعية للإنسان ومن هنا كانت القوة هي الحق، وكانت الصحة الاخلاقية للشعوب هي نشاطها الحربي واستعدادها للقتال، " والدولة في علاقتها بالدول الأخرى معفاة من الاخلاق فعلاقتها لا أخلاقية (بمعنى لا دخل لها بالأخلاق)، ومن ثم فإن علينا ان نتوقع ان الحرب ليست شرا أخلاقيا ... "[2] .

ومما أضفاه هيغل من حماسة، وضرورة للحرب، ولقد كان هذا التمجيد الذي صاغه هيغل في فلسفته السياسية عن الدولة سببا في اتهامه بأنه مسؤول الى حد ما عن الحرب العالمية الأولى بتمثله للروح البروسية في ق 19، وأنه في ضوء الدعوة الهتلرية الى

[1]- K. R. Popper: the open society and its enemics voli .routledge , began ,Paul , London 1968

[2]– إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 140

التوسع وضرورة الحصول على المجال الحيوي للأمة الألمانية خارج حدودها، يمكن ترديد ذلك الاتهام الموجه إلى هيغل عن مسؤوليته في إذكاء روح الغزو والعدوان [1] .

وادعى البعض الآخر من أمثال " مينيكوه " و" هيلير" أن هيغل كان رائدا لسياسة القوة التي دعا إليها بيسمارك وهي السياسة البعيدة كل البعد عن الديمقراطية بالمعنى المعروف لكلمة ديمقراطية [2] .

ويستمر بوبر في حملة بالغة العنف على نظرية هيغل في السياسة بصفة عامة والحرب بصفة خاصة الى أن ينتهي الى القول بأن: "هيغل لم يكن عبقريا بل ولا مفكرا موهوبا بل هو مفكر لا يمكن هضمه وكتاباته تخلو من الأصالة، والإبداع فلا شيء في مؤلفاته لم يكتب قبله وبطريقة أفضل ... " .

وقريب من هذه الاقوال الغربية ما جاء في إهداء كتاب هبهاوس في "النظرية الميتافيزيقية للدولة": " لقد شاهدت لتوي في الغارة الجوية على لندن النتيجة الملموسة لمذهب باطل شرير توجد أسسه على ما أعتقد، في هذا الكتاب الموجود أمامي (ظاهريات الروح هيغل) فبهذا العمل بدأتأعمق وأزكى المؤثرات العقلية التي قضت على تأثير النزعة الانسانيةالعقلانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ... وفي نظرية الدولة المؤهلة عند هيغل يوجد كل ما رأيته أمامي بصورةكامنة"[3] .

[1] – محمد عبد المعز نصر، الفلسفة السياسية عند الألمان (دراسة في الفكر الألماني الحديث)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،1872، ص 73 .

[2] – وائل غالي، دراسة في فكر هيغل، مرجع سابق، ص 136 .

[3] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 140 .

وهذا ما قد عثر عليه بالنسبة للفكر الغربي هو الحال أو نفس المنظور بالنسبة لبعض الباحثين العرب الذين انساقوا وراء هذا التيار دون رؤية على اتهام هيغل بأنه" مسؤول إلى حد ماوهذا ما قد عثر عليه بالنسبة للفكر الغربي هو الحال أو نفس المنظور بالنسبة لبعض الباحثين العرب الذين انساقوا وراء هذا التيار دون رؤية على اتهام هيغل بأنه" مسؤول إلى حد ما، عن الحرب العالمية الأولى"[1] .

وإن كان ما يذهب اليه هذا الاتجاه المتهم لهيغل بشكل كلي على أنه رجعي وداعية لا مثيل له في الحرب لما أخذ بفلسفته بما جاء من بعده من المفكرين . فقد ابتدأ ماركس حياته الفكرية هيغليا وكان ماركس أشد المتأثرين بالفلسفة الهيغلية بالأخص فلسفة التاريخ لدى هيغل، فرغم الانقلاب الحاد الذي انقلبه ماركس على أستاذه والذي أدى تحول ماركس عن مثالية هيجل الى مادية فقد قامت مادية ماركس على أساس الجدلية الهيغلية ذاتها مع إخراج مادي لها [2].

كان ماركس يعتقد أن هيغل اكتشف قانونا تاريخيا عاما، وهو "الديالتيك "لكن تطبيق هيغل له – حسبما اعتقد ماركس – كان ميتافيزيقيا، وغير علمي، فقد حول كل من ماركس وانجلز المنهج الديالكتيك الهيغلي الى منهج ديالتيكي مادي استعاضا فيه عن تاريخ الروح التي تشق طريقها إلى المطلق في الفلسفة الهيغلية، بالأساليب الانتاجية التي – زعما أنها – تدفع التاريخ الاجتماعي الى المطلق الشيوعي، من خلال الصراع الطبقي الذي حل لدى ماركس، محل الصراع بين الأمم .

[1] – عبد المعز نصر، فلسفة السياسة عند الألمان، ص 84 .

[2] – فؤاد زكريا، حكمة الغرب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ج 2 ،1983، ص229 .

فكان هيغل هو الاصل الذي استمدت منه نظرة ماركس التاريخية إلى التطور الاجتماعي فهذه النظرة التطورية ترتبط بالجدل الديالكتيك، الذي اقتبسه ماركس بلا أي تغيير عن هيغل[1]

وكان فورباخ (1804-1872) أحد أبرز الفلاسفة الماديين في عصره، فقد رفض حصر الفلسفة في إطار الفكر الخالص، ورأى من واجب الفلسفة دراسة الطبيعة، والانسان والطبيعة موجودة خارج الانسان، وهي كانن اول، اولي وغير مشتق والمادة، والطبيعة قابلة للمعرفة [2].

صار الجدل الهيغلي ذا مضمون مادي فورباخي لدى النظرية الماركسية التي تولدت عن النضال التحرري للطبقة العاملة في أربعينيات القرن التاسع عشر [3] .

وكان للمواقع المتغيرة – الظروف المتغيرة – التي عاش فيها ماركس أثرها الفاعل على صياغة النظرية الماركسية، وكان تحوله من الديمقراطية الى الشيوعية الثورية(1844) سببا لتغير نظرته ورؤيته للعالم، ومما نتج عن هذا الانتقال الى تطور الصراع الثوري في باريس وعن دراسته للاقتصاد السياسي والاشتراكي الخيالية، والتاريخ [4] .

والحق أن المرء ليعجب أشد العجب من هذه الحملات العنيفة ضد هيغل – في الموقف الأول – والتي تنتهي بوصفه بأنه (لا هو عبقري ولا هو موهوب ...) لأن السؤال الملح في هذه الحالة: ولماذا تضيعون وقتكم، وجهدكم وتملأون الأرض صراخا من فكره إذن ؟ .

[1] – فؤاد زكريا، حكمة الغرب مرجع سابق، ص 230 .

[2] – أفانا سيف، أسس المعارف الفلسفية، دار التقديم، موسكو، 1979، ص 23 .

[3] – الموسوعة الفلسفية، بيروت، ط 1، 1974، وهي تتناول مواردها من وجهة نظر ماركسية صريحة، ص 545 .

[4] –المرجع نفسه، ص 404 .

يقول: روز نكرانتشKarl rosoKranz في هذا المعنى: " إن المرء ليذهل من عنف الحملات التي تهاجم النظرية الهيغلية من أناس يقولون عنها أنها أفكار ميتة ".فإذا كانت نظرية هيغل عن الحرب بهذه السطحية التي يصورونها فلم يجهدون أنفسهم على هذا النحو في نقدها ؟ ثم كيف يكون لها هذا الأثر الهائل الذي يتحدثون عنه ؟ [1] .

ولذا فإننا نجد أولا أن " جانصGans " الذي نشر "فلسفة القانون" مضيفا إليها مذكرات مأخوذة من المحاضرات يقول: " إن هيغل لم يتنكر للمبادئ العظمى للثورة الفرنسية التي عاشت الحماسة فينفسه أيام الشباب بل ظل دائما يطالب للفرد في الدولة بالحقوق الأساسية الشخصية الإنسانية "[2] .

ونجد فالتركوفمان في رده البارع على المزاعم التي ساقها " بوبر " في كتابه فقال: " أنه رغم لورعيته بوبر فإنه يجهل معظم الكتب الهامة في موضوعه ... كما أنه يعتمد على المختارات الملخصة في كتاب " SemibnerlsHeglSelections" وهو مرجعيصلح للطلاب لكنه لا يشمل على كتاب واحد كامل من مؤلفاته هيغل" .

وقد جاء هيغل فتناول الاتجاه المثالي الذي بدأ به كانط منطقيا وتحول أنطولوجيا إنسانيا في تجربة الحرية عند (فيخته) ثم أصبح ميتافيزيقا وما ورائيا في فلسفة "شلنغ " فعد له وأضاف إليه مبادئ التاريخ، والديالكتيك، والوعي وغير ذلك [3].

[1] – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 141 .

[2] – عب الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق،ص593 .

[3] – حسين محمد سبيتي، أعلام فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 31 .

الفصل الثالث:

علاقة الفرد بالدولة والدول الأخرى في إطار الحرب

المبحث الأول: مفهوم الدولة عند هيجل.

المبحث الثاني: الحرب وعلاقة الفرد بالدولة.

المبحث الثالث: الحرب وعلاقة الدولبالدول الأخرى.

تمهيد

إن الميزة الأساسية للحياة الإنسانية هو أن البشر يعيشون بطبيعتهم في تجمعات تأخذ أشكالا مختلفة،الأسرة،القبيلة،القرية،المدينة، الدولة وهذه الأخيرة كانت محل اهتمام الكثير من الساسة،والمفكرين وقد تعددت الآراء حول نشأتها، وماهيتها.

ونحن في هذا العرض بصدد التطرق لآراء هيغل وعلى هذا يمكن أن نتساءل عن مفهوم الدولة عند هيغل .

فكيف يعرف هيغل الدولة، وما مفهومها لديه ؟ .

المبحث الأول: مفهوم الدولة عند هيجل

كان مفهوم هيغل للدولة ينطلق أساسا من مفهومه للدولة القومية التي تتجاوز فيقيمتها ونسقها كل تجمع إنساني آخر، وكان الهدف العام من هذا النسق هو إظهار منجزات كل أمة من الأمم عن طريق الديالكتيك، لأن روح أية أمة منالأمم هي وحدها الخالق لكل مظهر من مظاهر الحضارة، والتطور سواء فيشكلها القانوني أو الأخلاقي أو السياسي أو المادي، فتعاقب الحضارات القوميةهو تجسيد روح الأممفيها[1]، فالدولة هي أعظم المؤسسات وأكملها علىالأرض ،إنها تمثل الله أو المطلق، وهي أكمل درجات تحقيق الحرية، والوعي، النظام من خلال المؤسسة، والمجتمع [2]، فالدولة ليست مؤسسة نفعية، تقوم بمهمة تطبيق القوانين، وحراستها، وحمايتها، وتوفير الأمن، والغذاء لأفرادها – كما يعتقدالكثير – وإنما مهمتها أسمى من هذه الوظيفة النفعية لأنها تقوم بتوجيه المجتمع توجيها أدبيا أخلاقيا، لأنها ليست وسيلة بل غاية في ذاتها.

[1] – اسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، ص 261 .

[2] – حسين محمد سبيتي،أعلام فلسفة التاريخ، تقديم ساسين عساف، المكتب العالمي للطباعة، 1996، ص 67 .

ومن ذلك يقول هيغل"إن الدولة بصفة عامة ليست تعاقدابين الأفراد وماهيتها الجوهرية ليست قاصرة على حماية الأفراد وضمان ممتلكاتهم، بل هيبالأحرى الحقيقة الواقعية العليا "[1]، هذه الواقعية التي يجد فيها الفرد حريته وانسانيته وجوده المطابق للعقل [2]، فهي من هذا المنظور تمثل المثال العقلاني للتكامل التاريخي، إنها حقيقة الأخلاق الموضوعية، إنها العقل في ذاته ومن أجل ذاتهإنها حقيقة الفن،الدين، ومن ذلك فهي كما يقول عنها أنها: " الإدارة الإلهية ... تتكشف عن ذاتها في الشكل الواقعي للعالم المنتظم "[3].

ومن ثم فإن الدولة هي كله عاما، الكل الذي يتجاوز في حدوده، وهويته الأفراد ولكن هذا الكل من وجهة وحدانيته هو فرد، لكنه ليس تجمعا أو مجموعة من الأجزاء، بل إنها وجود واحد في شكل وحدة عضوية يضم مجموعة من العناصر ومن ذلك فهي كما يقول هيغل: "الكائن الروحي للشعب في الحالة التي ينتظم فيهابنفسه، يكون وحدة عضوية "[4].

وإن كان هيغل من هذا المنظور يعتبر أن الدولة هي من الكل فإن هذا لاينشأ من التعاقد بين الأفراد ومن يحكمهم الذي تذهب إليه كثير من النظريات، وأصبح مألوفا في الفكر السياسي، فهذا التعاقد من هذه الناحية يتم بين ارادات مختلفة عشوائيا وهذا يختلف مع جوهر الدولة، لأن جوهرها لا يمكن: "فيإدارة فردية عشوائية أن يفصل نفسه عن الدولة، لأننا بالفعل مواطنين في الدولةبالمولد، والغالية الحقيقيةللإنسان هي الحياة في الدولة، وإذا لم يكن هناك دولةفإن العقل يطلب في الحال تأسيس دولة، إن التصريح بالدخول إلى الدولة أو الخروج

[1] – هيجل ، أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 214 .

[2] – ملحم قربان ، قضايا الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 201 .

[3] – هيغ هيجل ، أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 308 .

[4] – إمام عبد الفتاح إمام ، دراسة هيجلية، مرجع سابق، ص 145 .

منها يجب أن تمنحه الدولة نفسها، وإذن فليست تلك المسألة متوقفة على الإدارة الفردية العشوائية "[1].

ومن هذا المنطلق فالدولة لها طابعا المميز،هذا الطابع الذي يقول بشأنه هيغل: " الطابع الجوهري للدولة هي فرانيتها تجمع في داخلها هذه الاختلافات أي الأعضاء في الدولة، وهي بالتالي وحدة لكنها وحدة مبعدة للوحدات الأخرى، الدولة حين تتسم بهذه السمة، إنما تكون لها فردية، والفردية من حيث ماهيتها عبارة عنفرد، ومن حيث السيادة هي فرد مباشر متحقق بالفعل "[2].

وبهذا فهي الجوهر الاجتماعي الذي بلغ رتبة الوعي ذاته اعتبارها لامتناهيةفي ذاتها لأنها الحقيقة الفعلية لفكرة موضوعية، فهي عالم أخلاقي تفرضنفسها على المواطن، وأنها تمثل التطور الذي يجمع بين الأسرة والمجتمع المدنياللذين تنصهم فيهما إدارة الفرد، فهي غايتهما، وحقيقتهما، إنها بصمته على وجهالدنيا، فهي غاية في ذاتها[3] وهي الحرية الموضوعية التي لا تعارض فيها بين الروح وذاتها، وفي الدولة نخمد كل مظاهر التعارض، والنزاع، لأن فيهاتصبح كل مظاهرها موجودةوجودا فعليا .

وقد أكد هيغل على ضرورة الحرب في التاريخ من الناحية الديالكتيكية واشار إلى ورها الحضاري في الخلق، والتقدم وشبهها " بالرياح العاتية التيتحفظ المستنقعات من الأوساخ، والروائح النتنة "[4].

ويعتقد هيغل أن قوة الدولة السياسية الحقة لا تظهر في حالة السلم وإنماتتجلى واضحة في حالة الحرب يقول: " إن صحة الدولة بصفة عامة، لا تكتشفبقوة في هدوء السلم بقدر ما

[1]– بتراندراسل،تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنبطي، ج3، الهيئة المصرية العامة، 1977، ص 331.

[2] - إمام عبد الفتاح إمام ، دراسات هيغلية، مصدر سابق، ص 168.

[3] – بترندراسل، تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 331.

[4] – عبد الله عروي ، مفهوم الدولة، مرجع سابق، ص 77 .

تتكشف في لهيب الحرب: لأن السلم هو حالة الاستمتاع والنشاط في عزلة لاسيما إذا كانت الحكومة أبوية منتصرة عاقلة لا تطلب من رعاياها سوى مطالب عادية فحسب، أما في حالة الحرب فإن قوة الترابط التي تجمع بين أفراد المجتمع في كل واحد تصبح واضحة"[1].

وبهذا يعتبر هيغل بوجه عامر المدافع بلا خجل عن العنف، والحرب ومن الممكن أن نبرئ هيغل من بعض الصيغ المشوبة بالغلو بأن نقرر أنه لم يفعل شيئا سوى أن أقر واقعية دون موافقة عليها، ولا ينبغي من ذلك إلا أن يدافع عن السمة الحضارية للعنف، فهو يرى أن العنف هو اللحظة التي تحقق فيها الدولة أعلىدرجة من الشعور بالذات، وكان يرى في نابليون الذي كان بعجب بقوله هزيمته " الروح العالمية علة صهوة جواد "، وفي رأيه أن الحرب شر لابد منه وسوف ينتهي مع تحقق" الروح الطلقة "[2] .

قد جعل هيغل من الدولة السلطات الأعلى لكل حياة فردية، فهو كما هومعروف قد أخرج الدولة من حيز المحسوس إلى المطلق المجرد، واعتبر أن إدارة الأفراد ما هي إلا إدارة صادرة عن الإدارة العامة المطلقة الخارجية عن حياتهم المتمثلة فيالدولة، لذلك فلا سلطان لهم على هذه الأخيرة، وفي ظل هذهالنظرة يعطي هيغل علاقة الدولة بالفرد التي تتضح خصوصا أثناء الحرب .

فكيف تكون هذه العلاقة ؟

[1]– إمام عبد الفتاح إمام ، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل، مرجع سابق، ص 40 .

[2] – جاستونبوتول، الحرب والمجتمع، مرجع سابق، ص 30 .

المبحث الثاني: الحرب وعلاقة الفرد بالدولة:

لقد تصور هيغل العلاقة بين الفرد كالعلاقة بين العين، والجسم، فالمواطن في مكانه جزء من كل له قيمته، لكنه إذا انعزل كان معدوم الفائدة انعدام فائدة العين المعزولة، فالفرد كما يقول هيغل ليس حقيقة إلا في حالة مساهمتهبكل قوته في الحياة العضوية،أي الحياة الاجتماعية، فعلاقة الفرد بالدولة ليست علاقة ذوبان وإنما علاقةتكامل واندماج حيث يقول هيغل: "إن المصير الذي تصبح بواسطته حقوقالأفراد واهتماماتهم مرحلة زائلة هو في الوقت نفسه اللحظة الإيجابية التي تقررفرديتهم المطلقة لا الفردية العارضة العابرة، ومن ثمة فإن هذه العلاقةوالاعتراف بها هو الواجب الجوهري للفرد، فواجبه تأكيد استقلال الدولة، وسيادتها بتقبل المخاطرة، والتضحية بالملكية، والحياة، وكذلك التضحية بالرأي وبكل شيء آخر يمت بطبيعته إلى مجرى الحياة "[1] .

والواقع أن هيغل ينظر إلى الحرب على أنها عامل هام في علاقة الفردبالدولة ذلك لأن الحرب هي التي تجعل المواطن الفرد يتحقق من أن وجوده يرتبطبكل أوسع، فهي بما تتضمنه من احتمالات لتدمير النظام الاجتماعي القائم فإنهاتضطر المواطن الفرد أن يتحقق من أن عالمه خاص، أسرته، زواجه، أمواله، وملكيته توجد على نحو نهائي بسبب الوجود العام للدولة، فمن خلال الحرب أوتهديداتها يتحقق المواطن على نحو عيني من أن مستقبل عالمه الخاص مرتبطا ارتباطا وثيقا بدولته .

[1] – إمام عبد الفتاح إمام ، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، مرجع سابق، ص 27 .

أولا–التضحية والشجاعة كأسس لعلاقة الفرد بالدولة عند هيجل:

إن الحرب هند هيجل ترفع من الروح المعنوية للأفراد حين يشاركون في الدفاع عن وطنهم فيتجاوزون مصلحتهم الخاصة وأنانيتهم الشخصية فيتحدون مع الكل [1].إذن التضحية هي الصورة الأولى لعلاقة الفرد بالدولة يقولهيغل: " تمثل التضحية في سبيل فردية الدولة الرابطة الأساسية بين الدولة أعضائها وهي لهذا السبب واجب عام ... "[2]

والواقع أن تضحية المواطن في حالة الحرب هي بطبيعتها مقياس تضامنه مع زملائه المواطنين لأنها تدل قاطعة على مبلغ تخليه عن جانب الذاتية، والمصالح الشخصية الخاصة ليخل مع المواطنين في كل واحد يشد بعضه بعضا، ولهذا فإن هيغل يلخص علاقة الفرد بالدولة في عبارة جامعة فيقول: " أن المصير الذي تصبح بواسطته حقوق الأفراد واهتماماتهم مرحلة زائلة هو في الوقت نفسه اللحظة الايجابية التي تقرر فرديتهم المطلقة لا الفردية العارضة العابرة، ومن ثمة فإن هذه العلاقة والاعتراف بها هو الواجب الجوهري للفرد، فواجبه تأكيد هذه الفردية الجوهرية أعني تأكيد استقلال الدولة وسيادتها بتقبل المخاطرة، والتضحيةبالملكية، والحياة، وكذلك التضحية بالرأي، وبكل شيء آخر بعت طبيعته إلى مجرى الحياة ... "[3].

ويتطرق هيغل في دراسته لموضوع تضحية المواطن في حالة الحرب إلى الحديث عن الشجاعة التي هي صورة عليا من صور التضحية بالنفس، ويسوق هنا أيضا رأيا طريفا يختلف عن مفهوم الشجاعة المألوف ذلك لأن نظرتهإلى الشجاعة في الحرب هي أبعدها تكون عن الأفكار الذاتية الرومانتيكية عن الجرأة، والجسارة، والإقدام، وغيرها من الصفات الفردية، لأن الشجاعة عند هيغلليست لحظة سيكولوجية وإنما لحظة الاتحاد مع الكل يقول: "

[1] – كامل محمد عويضة ، هيجل،مرجع سابق، ص 47.

[2] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص210.

[3] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 209.

إن جلد الحيوان، وتحمله، وجسارة قاطع الطريق، والشجاعة دفاعا عن الشرف، وبسالة الفارس– ليست هذه الصور كلها هي الأشكال الحقيقية للشجاعة، لأن الشجاعة الحقة في الأمم المتدنية هي استعداد الفرد للتضحية في سبيل الدولة حتى أنه لا يعد نفسهسوى واحد بين كثيرين، فالنقطة الهامة ليست هي الحماس الشخصي، وإنما هي انضمام الفرد إلى الكل، ففي الهند هزم خمسمائة رجل (بقيادة كليف Clive)عشرين ألف لم يكونوا جبناء وإنما كان يعوزهم فقط هذا الاستعداد للعمل فيتعاون وثيق مع الآخرين "[1] .

أن هيغل يرفض شجعة الفارس في القرون الوسطى: " شجاعة القلبواحتقار الموت، والحرص على الشرف، والحفاظ على مشاعر الولاء للسيد،والمبادرة،وللتطوع ... إلخ[2] .

ذلك الذي كان شعاره باستمرار:

" لو أن سيدي يقتل فإني معه أموت

لو أن سيدي يشنق، علقوني بجواره

لو أن سيدي يساق إلى الحرقة، فأني أحتضن اللهب

لو أن سيدي قد غرق، ففي بطن البحر معه أرقى "[3] .

إن حرب الدولة تختلف عن حرب الفرسان التي كانت تقع بين أفراد تتجلى بينهم الشجاعة بمعناها الرومانتيكي، أما الحرب التي تشبه الدولة فهي تتطلبتماسك الكل وتضامنه لأن هذا " الكل " هو الذي يحارب، ومن هنا فلا مجال للعمل الفردي الذي ينفر من هذا الكل أو يبتعد عن العمل المنسق مع الجماعي أو التخطيط العام الذي تقوم به الدولة، فلا تكفي في

[1] – المصدر نفسه، ص 296.

[2] – اسحاق عبيد ، الفرسانوالاقنانفي مجتمع الاقطاع – مكتبةقورينا للشعر، ط 2، عام 1975، ص 53.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 38 – 39 .

هذه الحالة " البسالة الفردية " المهم إلا إذا كانت داخل المخطط المعاصر ومن هنا فإنها لن تكون " فردية بالمعنىالدقيق لهذه الكلمة وإنما تتخذ صفة " الجماعةأو الفعل الكلي الذي يعبرعن تناسق الكل وتآزره [1] إن البسالة الفردية التي تشذ عن العمل التعاوني الذي تقومبهالدولةككلقديجلبمنالضرر أكثربكثير مما" ينتج من منافعوقديحققعليه المثل العربي القديم" جنت على نفسها براقش "[2] لأنه قد يؤدي الكل ويجنيعلى نفسه في آن معا

لكن ذلك كله لا يمنع بالطبع من قيام الأفراد بعمليات شجاعة، بل قد تكونانتحارية، داخل التنسيق العام الذي تقوم به الدولة وهو في هذه الحالة يبرهن على التضحية الحقيقية والتضامن الكامل الذي يقوم به المواطن مع إخوانه حيث يتحققالاتحاد بفعل منسق مع الكل، ومعبر عن صلابة الجميع في سبيل هدف واحد هو حماية الدولة .

وعلى ذلك فإن فعل الشجاعة يتضمن " الطبيعة الجدلية "الهيجلية الشهيرة إذيحوي في جوفه تناقضا واضحا فهو السمة الحقيقية لحرية المرء ولوجوده ولكنه فيالوقت ذاته تضحية بهذا الوجود كله، كما أنه يمثل الدرجة العليا من الوجودالذاتي أو " البقاء " الفردي لكنه يعبر عن مدى ضالة الفرد وقلة حجمه فهومجرد " جزئية " صغيرة في عجلة كبيرة هي تنظيم الدولة، كما أنه من ناحية تعبير عن إذعان أو طاعة عمياء وتبني الآراء الشخصية لكنه يمثل في نفس الوقت أعلى ألوان القرارات التي يتخذها المرء حين يتخذ قرارا بإنهاء وجوده، ويستطرد هيجلفيقول: " لئن يعرض المرء حياته للخطر أفضل بكثير من مجرد الخوف من الموت، لكن ذلك لا يزال أمرا سلبيا خالصا وهو بذلك غير متعين وبغير قيمة فيذاته، لأنه الجانب الإيجابي الذي هو الغاية والمضمون هما أول ما يضفي المعنى على هذه الشجاعة،

[1] – ربما مايؤيد هذه الفكرة الهيغلية ما تتخذه الدول من تمثال للجندي المجهول الذي هو رهن للشجاعة " الكل " وليس نصبا لذكرى شخص معين.

[2] – براقش كلمة عربية فتقضي عليهم الاعداء تماما فجنت بذلك على قومها وعلى نفسها أيضا وصارت العرب تضرب بها المثل في الفعل الذي يجلب الضرر أكثر من النفع .

فاللصوصالقتلة ينزعون إلى الجريمة بوصفها غايتهم، والمغامرون الذين يسعون لتحقيق غايات تتفق مع أهوائهم الخاصة ... إلخ هؤلاءأيضا لديهم من الشجاعة ما يكفي لتعريض حياتهم للخطر .

لقد اضفي المبدأ الذي يرتكز عليه العالم الحديث وهو الفكر، والكلية – علىالشجاعةصورةعلياعندما كشف أكثر من آليتها بحيث لم عملا لهذاالشخصأو ذلك، وإنما هي فعل يؤمر به عضو في كل وفضلا عن ذلك فهولا يبدو موجها ضد أشخاص معنييناإنما ضد جماعة معادية، ومن هنا تبدو الشجاعة الشخصية، وكأنها غير شخصية، لهذا السبب فقد اخترع الفكر البندقية، واخترع هذا السلاح حول الصورة الشخصية الخالصة للشجاعة إلى صورة أكثر تجريدا ولم يكن ذلك من قبيل المصادقة "[1].

يقول هـ م . ربين H .A.Reybun وهو يشرح دلالة التضحية عند هيغل: " إنه عن طريق تضحية المرء بحياته من أجل دولته تتحقق الهوية الأساسيةبين الفرد، والدولة، وهذه التضحية هي في النهاية الواجب الملزم للفرد تجاه الدولة، وهكذا فتعدل الفضائل التقليدية في هذه العلاقة، وربما كان من الأفضل أن نقولأنها تظهر على حقيقتها، وتكف الشجاعة عن أن تكون مجرد عدم خوف الفرد، وتصبح الفعل الذي يرتبط بواسطته الفرد مع دولته في تعارضها مع دولة أخرى ،وبهذه الطريقة يتسع مضمون الشجاعة لتصبح خاصية اجتماعية بقدر ما هي خاصية شخصيته"[2]

وهكذا يتنافى المعنى الشائع للشجاعة فلا تكون مجرد إقدام من الفرد أو بسالة أو " لا خوف " إنما تتحول إلى تضامن، واتحاد مع بقية الأفراد في سبيل تحقيق الغاية العليا وهي سيادة الدولة عن طريق تضحية المرء بنفسه يقول هيغل: "إن القيمة الداخلية للشجاعة بوصفها

[1] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 212.

[2]-A.H.Reybun: ‹‹the etchcal theory of hegel – A- study of the fhilosophy of right P253 .oxford at the clarodonpress .London 67.

استعداد الروح إنما توجد في الغاية النهائيةالمطلقة الأصلية وهي سيادة الدولة، والعمل الشجاع هو التحقق الفعلي لهذه الغاية النهائية والوسيلة إلى تحقيق هذه الغاية هي التضحية بالوجود الشخصي، وهذه الصورة من صور التجربة تحتوي بهذا الشكل على تناقضات حادة: كالتضحيةبالنفس التي تمثل مع ذلك الوجود الحقيقي لحرية المرء، كالوجودالذاتي للفرديةفي أعلى درجاته ومع ذلك فهو مجرد ترس يقوم بدوره في جهاز التنظيم الذاتي الخارجي، وكذلك والطاعة الكاملة، والإقلاع عن الآراء الشخصية والاستدلالات الخاصة بل الغياب الكامل للروح لكنه مع ذلك مصحوب بأعظمحضور شامل وقوي لروح واتخاذ القرار في لحظة الفعل ... "[1] .

ويضعهيغل يده هنا على نقطة هامة عندما يبين لنا أن الشجاعة في الدولةتختلف عن شجاعة الفارس في القرون الوسطى عندما كانت حياته عرضة للخطر الدائم ولهذا كانت الحرب عنده سبيل إلى الثراء وجمع الغنائم كما أنها تضمنللفارس الشجاع سمعة عالية وعطايا كثيرة، وعندما يكون الفارس سعيد الحظ هو الذي يوقع في الأسر بشخص مرموق فيضمن بذلك فدية دسمة، أما الأسر الفقراء فنصيبهم الموت .

فلا يبقى على قيد الحياة سوى الأسرى الموسورين القادرين على دفع الفديةالكبرى ولهذا كان الفرسان في أوقات السلم يجدون لذة خاصة في قطع الطريق والاستلاء على متاع وأموال التجار، والقوافل من المسافرين [2] .

فهيغل يذهب إلى القول بأن ذلك كله ليس شجاعةإن كان تعرض حياة المرء للخطر أفضل من الجبن، والخوف، والموت، إن الشجاعة الحقة إنما تكونبهدفها، ومضمونها فما الذي يهدف إليه الفارس هنا ... ؟ الإثراء الشخصي على حساب الآخرين .

[1] –هيغل، أصول الفلسفة ،مصدر سابق، ص 211 .

[2] – إمام عبد الفتاح إمام ، فلسفة الحق لهيغل، مرجع سابق، ص165 .

وذلك لون من اللصوصية وإذا كان فيه جرأة وإقدام فهي كما قال " كانط "من قبل جرأة تزيد الناس منه نفورا وكراهية، أما الشجاعة الحقيقية التي كشفت عنها الحضارة الحديثة التي تقوم أساسا على الفكر فهي تلك التي يضحي فيهاالمرء في سبيل الكل وهي ليست موجهة ضد شخص معين – لأن الجندي قد لا يعرف الجندي الذي يقاتله – وإنما هي ضد جماعة معينة هي الدولة المعادية ،فالحرب عند هيغل ينبغي أن توجه ضد الدولة لا ضد أشخاص بعينهمأو ضد ممتلكات الأفراد، وأسرهم وما شابه ذلك، ويري هيغل أن هناك ضرورة عقلية تمكن خلف اكتشاف البارود، ذلك لأن هذا الاكتشاف قد ساعد على جعل الحرب" انسانية " بأن قلل من معارك المواجهة المباشرة بين الأفراد التي وجدت من قبلفي معارك المبارزة بالسيف، ومن هنا فإن الجندي الذي يشد زناد بندقيته فيطلقمنها الرصاص فيصيب الأعداء لا يهدف إلى قتل دولة عدوه، أما الأفراد هذه الدولة فهو لا يعرفهم وربما لو عرفهم لم يكن ليكرههم [1].

لقد كان المجتمع في العصور الوسطى ينقسم إلى طبقتين: الفرسان، والأفنان أوالنبلاء، والعبيد، وكانت للحرب مواجهة بين شخصيتين ومن ثم كانت تعتمدعلى البسالة والشجاعة الشخصية لكن تطور المجتمع البشري كان يتطلبالقضاء على هذه التفرقة ومن هنا ظهر اختراع " البارود " الذي يعتقد هيغل أنه كان مطلبا إنسانيا لأنه لعب دورا هاما في حرمان النبلاء من ميزة السيطرة على العتاد والتجهيزات الحربية، والبسالة، والإقدام ... إلخ .

ومن هنا كان من أحد الأدوات الرئيسية في التحرير العالم من هذا النظام الطبقي والاقطاعي ذلك لأنه وضع الطبقات الاجتماعية المختلفة على قدم المساواة فمع ظهور هذا السلاح الجديد تلاشت التفرقة بين السادة والاقنان، كما أن هذا السلاح الجديد حطم صلابه القلاع القديمة التي كان يصعب اختراقها فقلت أهميه هذه الحصون، ويقول هيجل: "إننا قد نترجم

[1] إمام عبد الفتاح إمام ، فلسفة الحق لهيغل، مرجع سابق، ص 125 .

على تلك الايام الخوالي وقد ناسف على اختفاء تلك الشجاعة الفردية والبسالة الشخصية وقد نشعر بالاسى لأن الرجل الشجاع النبيل قد يلقى حتفه برصاصة جندي جبان

تنطلق كصرخة عفريت في الليل في مكان حالك الظلام ومن مسافة بعيدة لكن البارود من ناحية أخرى قد أنتج شجاعة جديدة هي الشجاعة العقلية المتدبرة المرتويةوهي شجاعة الروح – بالمعنى الهيجلي – وهي العامل الجوهري الحاسم في النجاح الحربية وفي أي انتصار عسكري ومن خلال هذاالسلاح الجديدالعجيب استطاع هذا اللونالعالي من شجاعة أن يظهر وهو شجاعة تخلو تماما من كل شعوربالحقدأو الكراهية الشخصية. ذلك لأن استخدام الأسلحة لا يوجد كما سبق ان ذكرنا ضد شخص معين أو ضد فرض بذاته في حالة الحرب التي تشنها الدولة ضد غيرها من الدول، لكنه يستخدم من موضوع ما بصفة عامة او ضد عدو مجرد أو ضد مبدأ او فكرة " إن شجاعة الامم المتدينة تتسم بهذه السمه المميزة لها وهي انها لا تعتمد على قوه السلاح وحده وانما هي تضع ثقتها كلها بصفه اساسيه في الذكاء والتوجيه وشخصيه القادة والتماسك القوي كما كان عند القدماء واتحاد الروح من الجانب القوي التي تأمها ... "[1].

وبعد هذا العرض علاقة الفرد بالدولة التي تظهر جليا اثناء عراك الحرب متجسدة في فكرتي الشجاعة والتضحية يمكن القول أن الحرب هي أمان الدولة ومن حيث أنها هي التي تدفع بالمواطنين إلى التضامن، والتلاحم، وهي التي تدفعهم إلى أن يخبروا الدولة بوصفها فرد لا ينقسم، فردا مستقلا بين أفراد الدول الاخرى ولكي يدافع المواطن عن هذه الدولة فلا بد أن يتحقق من أنها شيء أكبر وأعلى من النظام الذي يحقق مصالحه الخاصة وأهدافه الجزئية ... إلخ، ومن هنا فإن المواطن لكي يدافع عن هذه الدولة فإنه لابد أن يدخل الطابع العام لدولته الى أعماقه، لابد أن يجون هذا الطابع (أقصد أن يتقمصه،ويتشربه في ذاته) بحيث

[1] امام عبد الفتاح امام ، فلسفة الحق هيج، مرجع سابق، ص 125 .

يراها دوله جزئيه تقف في مواجهة دولة جزئية أخرى وليس ثم وسيلة أقوى من الحرب يمكن أن تجعل المواطن يمر بهذه التجربة فهي وحدها التي يمكن أن تقدم له هذهخبرة الفردية في أروع صورها فهي من ناحية تجعله يحقق طبيعة مواطنيه في الدولة، ومن ناحية أخرى تجعله يحقق الطابع الزماني لوجوده .وفي النهاية نستطيع أن نقول أن الحرب تبرز الجانب المتناهي في الأشياء المادية الذي هو جوهرها وطبيعتها العقلية ثم هي منناحية أخرى تجعل الفرد يتخلى عن مصالح الجزئية وبالتالي فالحربحسب هيغل تكشف عن الجانب المزدوج من الطبيعة البشرية فهي تبرز أفضل وأسوأ من عند البشر من انفعالات، وعواطف .

إن تآلف الأمم فيه بالضرورة تنافر لا ريب في أن آية دولة لا تدعي إلى حماية استقلالها لا غير ... وهي في الواقع لا توجد إلا بنسبة صيرورتها كيانا فردا وإذ ذاك تطلب بشراسة للاستئثار بالسيادة فتقيم ذاتها على أنها الدولة الوحيدة الجديرة فعله بهذه السمة ويجب أن تحترم بوصفها كذلك والتحليل الهجري ليتقاطع هنا مع توسيد يد التنبؤ أن ما تسعى عليه الجماعة في بادئ الأمر فهو تحاشي السقوط في العبودية فتتسلح لهذا الغرض وتبرز قوتها لكن سرعان ما ترى أن خير وسيلة للبرهان على قوتها هي في استخدام هذه القوه بإخضاع الآخر كي تضمن عدم إخضاعه لها [1] .

كيف يفسر هيكل هذه العلاقة بين الدول وكيف تكون الحرب وسيله للسيطرة ؟ .

[1] – فرانسوشاتيله، هيغل، ترجمة جورج صدقني، مراجعة فؤاد حورجيبارباره، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، ط 2، دمشق، 1976، ص 189 .

المبحث الثالث: الحرب وعلاقة الدول بالدول الأخرى:

هناك علاقات تقوم بين الشعوب بعضها مع بعض ومنها علاقه التجاور، والشعوب المتجاورة يمكن أن تسود بينها حاله سلام ووفاق ولكن نظر الطبيعة كل شعب المستقلة والمتميزة بفرديتها فإن السلام ينقلب بالضرورة في لحظه من لحظات التاريخ الى الحرب ويعتقد هيجلأن الحرب هي التجربة العظمى في تاريخ وحياه الشعوب فهي تظهر في الخارج ما عليه الشعب في الداخل كما أنها تؤكد حريه الشعب أو تسلبه إياها [1].

فعلاقة الدول بعضها ببعض هو الذي يؤلف ما يسميه هيكل " بالقانون الدولي " لكنه ينظر اليه نظره خاصه يمكن انجازها فيما يلي: كل دولة مستقلة وذات سيادة وليس ثم سلطه على ظهر الأرض أعلى منها ومن هنا الدولة يوجد فيها قانون قائم ومحاكم ترغم الأفراد على اتباع الصالح العام وتحد من الأهواء الفردية ولا يوجد مثل هذا القانون ولا مثل هذه المحاكم لإرغام الدول على تنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات التي تعتمد بينها ولكن كانت الاتفاقيات والمعاهدات الدولية تقوم فقط على ارادة الحاكم،وهي ارادةولهذا كانت الدول المتحالفة تتشبه على أحسن الفروض لأطراف المتعاقد ولقد تطلع كانط على اقامة تحالف بين الدول يحل المنازعات التي تقوم بينها لكل هيجل يرى أن هذه الفكرة مجرد حلم لأنها تتجاهل أن كل الدول مستقلة ذات سياده وإنه ليس ثمة سلطة تعلو هذه الدول . فكيف يمكن إذا أن تحل المنازعات التي تقوم بين الدول ؟

أولا، الحرب حتمية ضرورية بين الدول:

فهي تحل في نهاية المطاف عن طريق الحرب رغم أن المفكرين نادوا بالسلام الدائم بوصفه المثل الاعلى الذي ينبغي على المفكرين أن يصلوا إليه كنت قد وضعت مشروعا من هذا النوع ولكن الفرد والفردية يتضامنان بالضرورة السلب لكن لو أن عددا من الاسر كونوا الدولة

[1]– كامل محمد محمد عويضة ،هيغل، مرجع سابق، ص 85 .

فان هذا الاتجاه بوصفه شخصيه مركبه فينبغي أن يخلق لنفسه معارضا وبالتالي يولد عدوله فالحروب لا مناصه منه، والحروب عند هيجل تخرج منها الدول الأقوى مما كانت ثمالأمم التي كانت تنقسم على نفسها تستطيع أن تحصل بواسطه الحرب على السلام في الداخل[1].

إذن أول سمة للدولة هي الاستقلالية بميزاتها الداخلية والخارجية فيقول هيجل في ذلك الطابع الجوهري الدولة هو فردانيتها وهي فردانيه تجمع في داخلها هذه الاختلافات أي الاعضاء في الدولة وبالتالي وحده لكنها وحدة مباعدة للوحدات الاخرى والدولة حين تتسم بهذه السمه انما تكون لها فرديه والفردية من حيث ماهيتها عباره عن فرض ومن حيث هي السيادة هي فرد مباشر متحقق بالفعل [2].

يصفهيغل الدولة بنفس صفات الفرد ويضفي عليها نفس الشخصية الفردية والوحدة العضوية ولهذا يقول عنه إنها قوه مطلقه على الارض وانها شخصيه لا متناهيه داخليا وهي وحده تستبعد غيرها... الخ، وذلك لان الصفات الأساسية الشخصية الفردية قائمه ومتجمعة ومركزة في الدولة مع ميزة لا توجد لدى الفرد وهي انها ليست ثم سلطة اعلى منه ولهذا كانت قوة مطلقة على الارض فالدولة عند هيغل هي أعلى إنجاز اجتماعي حققه الانسان [3].

ولما كانت كل دولة فردا فإن الطابع الأساسي لعلاقتها بالدول الأخرى تشبه العلاقات القائمة بين الشخصيات الفردية في المجتمع المدني فهؤلاء الاشخاص كانوا شخصيات مستقلة بالضرورة وكذلك نجد بالمثل كما ذكرنا سابقا أن السمة الأولى لكل دولة في علاقاتها بالدول الأخرى هي استقلالها"الفردية هي ادراك المرء لوجوده كوحدة تمايز تميزاحادا عن الأخرين وهي تتجلى هنا في حالة الدولة بوصفها علاقة الدولة بغيرها من الدول التي لكل منها استقلال ذاتي في مواجهة غيرها من الدول ولهذا الاستقلال الذاتي يجسد الادراك الفعلي

[1] – عبد الرحمان بدوي ، المثالية الالمانية ،شيلج، دار النهضة العربية، 1965، ص 138 .

[2] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 208 .

[3] – إمام عبد الفتاح إمام ، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 75.

للروح ذاتها بوصفها وحدة ومن ثم فهي الحرية الأساسية التي يمتلكها شعب ما كما أنها أيضا أعلى كرامة يصل اليها "[1]. ولكن اذا كانت الدولة تشبه الفرد في خصائصه الكثيرة فإنها تختلف عنه من حيث علاقة الفرد بغيره من الأفراد ذلك لأن الاشخاص تعلو عليهم الدولة في حين أن الدولة لا يعلو عليها شيء ومن هنا فان هناك فارقا واسعا بين القانون الداخلي في الدولة، وبين القانون الدولي.

القانون الداخلي ملزم لجميع الافراد فهو ينص على جزيئات معينة وبشكل محاكم سرقة من الأفراد على اتباع الصالح العام، وتحد من الاهواء الفردية كما أن هناك معيارا موضعيا للفصل في المنازعات وهو القاضي الذي يحكم ويفصل بين الافراد ويفض ما بينهم من خلافات أما القانون الدولي فلا يكون ملزما للدول الا بمقدار ما تتعهد الاطراف المعينة باحترامه والعمل بمقتضاه لكن لا توجد محاكم لإرغام الدول على تنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقد فيها.

ولهذا كانت الاتفاقيات، والمعاهدات الدولية لا تقوم إلا على ايرادات فرديه ولهذا كانت الدول المتحالفة تشبه على أحسن ظروف الأطراف المتعاقدة في المجتمع المدني ومن ثم فإن أي تحالف سوف يكون عرضيا يستطيع أي طرف أن ينفصل منه يقول هيغل: " القضية الأساسية التي يقوم عليها القانون الدولي أعلى (اعني القانون الكلي الذي ينبغي ان يكون صحيحا صحه مطلقه بين الدول بوصفه متميزا عن المضمون الجزئي للمعاهدات الإيجابية) هي ان تلك المعاهدات بوصفها اساس الالزام بين الدول ينبغي أن تحترم ولكن ما دامت سيادة الدولة تقوم على مبدا علاقتها بغيرها من الدول فان الدول الى هذا الحد تكون في حالة طبيعية من حيث علاقتها ببعضها البعض، فحقوقها لا تتحقق بالفعل إلافيرادات الجزئية ليس في ارادة كلية قوامها سلطة اعلى منها ومن ثم فان هذا الشرط الكلي لا يتجاوز حالة ما

[1] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 209 .

ينبغي ان يكون، وما يحدث فعلا هو أن العلاقات الدولية تسير طبقا للمعاهدات، وتتغير وفقا لقطع في هذه العلاقات ... "[1].

هذا النص من النصوص الهيجيلية الكثيرة التي اغضبت الشراح مع أنه غاية في الوضوح ويخيل إلى أننا سوف نتفق جميعا مع هيغل فيما يعرف فيه من أفكار لو أننا تخليناعن " العواطف " ونظرنا إلى الموضوع نظرة عقلية خالصة اما يقوله هو بكل بساطة أن أفعال الدول تحكمها ارادتها التعسفية ومن ثم أن المعاهدات والاتفاقيات الدولية رهن بالتزام الدول بأنها بها لان كل ما يملك ما يمكن للقانون الدولي أن يفعله هو أن يأمر فحسب احترام هذه الاتفاقيات بصفة عامة لكن لما كان لا توجد سلطة تعلو الدول، ولما كانت العلاقات بين الدول لا تحكمها الكلية (التي هي قانون العقل) بل الاتفاق والغرضية (وهما تعبير عن الجزء أي عن الجانب الذاتي أو الهوا) فإن هذه العلاقات تتغير وتتبدل باستمرار، والمعاهدات حتى ولو كانت توحي بالالتزام والارتباط الدائم فإنها تعتبر عتيقة مهملة حين تتغير الظروف التي أدت اليها [2] وهي في جميع الحالات تظل رهن الالتزام " الأدبي " للدول ويستطرد هيجل فيقول انه ليس هناك " بريطور" روماني (قاضي او قنصل)، كما تفعل روما اوائل العهد الجمهوري – يقوم بالفصل في القضايا التي يكون طرفا لخصومه فيها الرمان من ناحية والاجانب من ناحية اخرى فيقول: " ليس هناك بريطورPraetorليحكم بين الدول فعل احسن تقدير فقد هناك حكم أو وسيط وهو يمارس وظائفه بصفه عارضة مشروطة أي أن عمله يتوقف على الايرادات الخاصة للمتنازعين، وقد كانت عند كانط فكرة تحقيق السلام الدائم بواسطة عصبة الأمم تقوم بعقد الصلح فيكل نزاع، واراد لها أن تكون سلطة معترف بها من كل دول من كل دوله فردية وأن تكون حكما في جميعقضايا الخلاف لتجعل من المستحيل على المتنازعين أنيلجأوا الى الحرب حسم تلك القضايا وتفترض هذه

[1] – هيغل،فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 213

[2] – ولترستيس، فلسفةهيغل، مرجع سابق، ص 211

الفكرة مقدما الوفاق بين الدول، وذلك يعتمد على أسس واعتبارات أخلاقية بين أو دينية أو غير ذلك، لكنه يعتمد أيضا وبصفة دائمة، في النهاية على ارادة خاصة ذات سيادة، ولهذا السبب فسوف يظل موصوما بالغرضية والاتفاق "[1].

ثانيا–موقف هيجل من السلام الدائم:

لقد ذهب خصوم هيغل الى القول بأنه يدعو إلى الحرب لأن النتيجة الحتمية لمضمونه أن السلام الدائم " حلم " أو " وهم " أو هو على أحسن الفروض أمنية،والواقع أن الشق الثاني من تفسير الخصوم لنص هيجل سليم لكن الأول خاطئ فهيغل لا يرفض السلام لكن يرى أن دوامه مستحيل بسبب قيامه على اراده جزئيه حره تستطيع أن تحطمه في أي وقت . إن السلام يظلمرهونا بإرادة المتعاقدين دون ان يكون هناك من يفرض على ارادتهم شيئا ومن هنا فان الحديث عنه لا يمكن ان يخرج عن دائرة الاخلاق والمشاعر الطيبة والنوايا الحسيه إلى غير ذلك من الامور العاطفية اللاعقلية وبمعنى آخر يصعب أن نتحدث عن السلام بلغة الضرورة التي هي لغة العقل، فنقول أنه من الضروري أن يكون هناك سلام دائم
كلا ليس ثم ضرورية ما دامت المسالة متوقفة على ارادة الدولة الجزئية التي تستطيع أن تنقض المعاهدات، وتشن الحرب في أيه لحظه ومن ذا الذي يستطيع ان يضمن لنا ضرورة التزام الدولة بالمحافظة على بنود اتفاقيات السلام وتنفيذ نصوص المعاهدات الدولية ... ؟
قد نقول عصبة الأمم أو تحالف دولي أو شيئا من القبيل يرغم " الدول بالقوة " على ضرورة احترام اتفاقية السلام الدائم لنا على هذه الفكرة ملاحظتين:

– **الأولى:** ان هناك محاولات كثيره بذلتها البشرية ولا تزال منذ عام 1815 حتى الى يومنا هذا لكنها باءت بالفشل .

[1]أمام عبد الفتاح أمام ، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 213 – 214 .

-**الثانية:** إن ارغام الدول على هذا النحو لا يكون الا بالقوة المسلحة وليس في ذلك سلام دائم وذلك يحتاج شيء من التفصيل :بعد أن توقفت الحروب النابيونية التي احتاجت اوروبا " دعا الاسكندر الأول " قيصر روسيا الى تكوين " حلف مقدس " من روسيا والنسمة وبروسيا وقد تم تكوينه بالفعل عام 1815 ميلادي وقد الزم الميثاق ملوك اوروبا ان ينتهجوا بالمبادئ المسيحية في علاقاتهم ببعضهم البعض ... " لكن الحلف الذي عبر عنه " كترنخ " سياسيا وكان فلسفيا فشل فشلا ذريعا ولم يستطع أن يحقق ذلك "السلام الدائم" الذي عادت البشرية تكافح من جديد في سبيل تحقيقه .

يقول هيغل ملخصا هذه الفكرة " كثيرا ما يقال أن السلام دائم هو المثل الأعلى الذي تكافح البشرية من اجل، تحقيقه ولقد اقترح كانط- وهذه الغاية في ذهنه -عصبة من الممالك لحل الخلافات بين الدول كما أريد للحلف المقدس ان يكون شيئا من هذا القبيل، غير أن الدولة فرض، والفردية تتضمن السلب ،ومن هنا فانه حتى اذا اجتمع عدد من الدول في امره، فإن هذه المجموعة بوصفها فرد الابد أن تجار ضدها وتحلق عدو لها ..."[1]

وهذا ما يبرهن عليهالتاريخ كل يوم عندما تكون " حلف " فيظهر في مقابلة " حلف " آخر وتظل الدول الأفراد الداخلة في هذا الحلف أو ذاك تلتزم التزاما أدبيا فقط (أو بلغة الفلسفة التزاماأخلاقيا) بتنفيذ "نصوص " ونبوذ هذا الحلف أو ذاك تلتزم التزاما أدبيا فقط (أو بلغة الفلسفة التزاما أخلاقيا) بتنفيذ نصوص وبنود هذا الحلف اذ يمكن لها في اية لحظة أن تقرر الخروج من الحلف وعلينا لكي نقف على فهم صحيح لهذه الفكرة أن نتبع المحاولات الدولية التي بذلت في اقرار هذا السلام الدائم فلنقرأ ما يقوله التاريخ عن ولاية الحرب العالمية الاولى التي ظهرت في أثرها الدعوة لإقرار السلام وانشاء عصبة الامم تعمل على استبانته وبفعل صدر ميثاق العصبة في 13 فبراير 1919 وبدأكان حلم البشرية على وشك التحقيق لكن

[1] - هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 295 .

نظرة سريعة على مقدمة هذا الميثاق تبرهن في الحال على صحة الفكرة الهيغليةتقول هذه المقدمة بالحرف الواحد :"أن الأطراف السامية المتعاقدة بقصد تنمية التعاون بين الامم وتحقيق السلام، والأمن رأت أنتقبل بعض الالتزامات التي تقضي بعدم الالتجاء الى الحرب وأن تعمل على اقامة علاقة صريحة بين الدول أساسها العدل، والشرف، وإن تحافظ على العدالة وتحترم بنزاهة كافة الالتزامات المترتبة على المعاهدات... "[1]وسوف اترك لك تأمل المفاهيم الأخلاقية الواردة في هذه المقدمة والتي تتحدث عن "الالتزام "و" الاحترام" والصراحة والنزاهة والعدل والشرف لتعلم ان هذه الكلمات متوقفة علىإرادة الدولة الفرد العضو في العصبة تستطيع أن تتنصل منها في اي وقت وهذا ما حدث بالفعل فمنذ عام 1919 حتى 1939 وهي فتره وجود العصبة أن ذهبت منها 16 دوله من مجموع دولها البالغ احدى 21 دولة . بل أن وجودها لم يمنع مثلا أن تقوم دولة عضو فيها مثل ايطاليا يضم دولة عضو اخرى اليها كرها وفي الحبشة عام 1936 أو ان تقوم المانيا باحتلال نسمه عام 1938 ثم تشتعل الحرب العالمية الثانية بين دول الكره الأرضية جميعا عام 1939 ثم ظهرت أمم المتحدةبميثاقها الجديد 1945 كما ظهر مجلس الامن الذي مهمته الرئيسية العمل على حفظ السلام والامن الدوليين والذي اريد له ان يكون بمثابه بوليس دولي " يفرض السلام الدائم " فماذا حدث؟حدث تطور هائل في التكنولوجيا العسكرية واساليب الدمار كان قد بدأ بإلقاء قنبلة ذرية على هيروشيما ثم تطور باختراع صواريخ عابرة القارات، ثم الأقمار الصناعية وهو تطور يهدد بحرب فناء للبشرية كلها ولعل هذا الفناء هو السبب الوحيد الذي منع وقوع حرب عالميه حتى الان وجعلها ضربا من الجنون المحال [2].

وبعد كل هذا جاء هيجل يقول أن السلام الدائم أمر بعيد الاحتمال وأن السلام عموما الرهن بمشيئته الدول التي لا يسيطر عليها شيء نتهمه بأنه هادم الملذات، ومفرق الجماعات

[1]– إمام عبد الفتاح إمام ،دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 184 .

[2] – المرجع نفسه، ص 184 .

وداعيه الى الحرب والكرب العظيم إن الرجل يتحدث عن الاخلاق المفقودة بين الدول صحيح أن الكل يتحدث عن الأخلاق المفقودة بين الدول .

صحيح أن الكل يتحدث عن الأخلاق، والضمير، والقيم...الخ دامبكلمات براقة لكنهم يقفون عند حدود الكلمات فحسب مع أنه لابد للمبدأ من قوة وما دام لا توجد قوة تقرر في مواجهة الدول ما هو حق من حيث المبدأ وتنفذ هذا القرار فانه ينتج من ذلك أن العلاقات الدولية لن تتجاوز مرحلة "الوجوب " لأن العلاقات بين الدول هي علاقات بين شملات مستقلة ذاتيا تعقد تعاقدات متبادلة لكنها تكون في نفس الوقت أعلى من هذا من هذه التعاقدات ... "[1]

ومن هنا فإننا سوف نظل الى الأبد نتحدث عما يجب أن تفعله الدول وعما ينبغي أن يكون عليه العالم من سلام دون ان نتجاوز دائرة الوجوب الاخلاقي والسبب ان القانون الدولي يعتمد على اراده الافراد المستقلين وليس ثم سيد يسيطر عليهم وهذا هو السبب الذي جعل هيجل يرى أن السلام الدائم أمر ما دامت هذه العصبة نفسها لكي تكون قويه وفعاله لابد أن تكون هي نفسها على استعداد لشن الحرب صحيح أن مثل هذه العصبة يمكن ان تتجنب هذه الحرب او تلك وهناك طرق اخرى كثيره لتجنب الحروب الفردية أو الجزئية ولمنع نشوب هذه الحرب أو تلك لكن المهم ان وجود الحرب نفسها يمكن التخلص منه عن طريق شن حرب تحت رعاية الامم المتحدة بدلا من شانها تحت علم هذه الدول او تلك"[2].إذا تنتهي من ذلك كله الى أن نقول مع هيغل: " ويتبع ذلك أن الدول إذا ما اختلفت ولم يكن من المستطاع تحقيق الانسجام بين ارادتها الخاصة فان النزاع لا يمكن حسمه إلا بالحروب "[3].

لكن يرى هيجل أن هناك مجموعة من القواعد ينبغي مراعاتها أثناء الحرب فيما أن الدولة حتى في حالة الحرب تعترف بأن عدوها دولة أجنبية أعني فردا مستقلا بانها لابد أن تشن

[1] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 297.

[2] – المصدرنفسه، ص 214.

[3] – المصدرنفسه، ص 215.

الحرب ضد هذا الفرد بما هوكذلك أعني ضد الدولة لا ضداشخاص معينين أو ممتلكاتهم أو عائلاتهم، يقول: " واقعية أنالدول تعترف كل منها بالأخرى بالتبادل على انها دول تبقى حتى في الحرب التي وضع يختفي فيه الحق وتتسلط القوه والمصادقة مرابطة تعتبر فيها كل دولة بالنسبة لأخرى شيئا مطلقا ومن هنا فانه حتى في حالة الحرب –فإنالحرف نفسها تتسم بأنها شيء ينبغي أن يزول، ومن ثم فهي تتضمن الشرط المطابق لقانون الشعوب وهو صون احتمال السلام، وهكذا ينبغي احترام المبعوثين او الممثلين للدول – وبصفه عامة ينبغي ألا تشن الحرب ضد المؤسسات الداخلية أو ضد سلامة الأسرة والحياة الخاصة أو ضد الاشخاص ومداراتهم الخاصة ... "[1]إذ ينبغي العمل على صيانة حقوق الافراد وحمايتها الى اقصى حد فلا تكون هدفا للحرب ولهذا السبب ايضا فان هيجل يؤيد وجود الجيوش النظامية المحترفة ويرفض تماما الجنود المرتزقة، بل ويعارض اي صورة من صور التجنيد العضوي العابرLevyenmasse أيالتجاء الناس بطريقة عفوية إلى حمل السلاح دفاعا عن النفس عندما يتبين لهم اقتراب عدو ما، دون ان يجدوا فرصة كافية لتنظيم صفوفهم وفقا للقواعد العسكرية المقررة "[2] .

الدول إذ تتنازع ولا يحكم بينها سوى التاريخ وروح العالم الذي يحرك هذا التاريخ هو المحكمة الأخيرة والقاضي النهائي بين الامم فليس ثمة محكمة عالمية تصدر حكمها علىالشعوب، وليس من الممكن قيامها كما سبق ان ذكرنا، ومن هنا فان الحكم على الدول انما يوجد في المصير الذي ينتظرها في مسار تاريخ العمل .

[1] – هيغل، فلسفة الحق، مصدر سابق، ص215 .

[2] – إمام عبد الفتاح إمام ، دراسات هيغلية، مرجع سابق، ص 443 .

الخاتمة

الخاتمة

ومن خلال تطرقنا للموضوع لا يسعنا إلا أن نقول أن فكرة الحرب عند هيغلأو الفكرة التي يمكننا أن نستنتجها من هذا البحث بصفة عامة، هو أنّ الحرب مسألة طبيعية وأنّها قضية جوهرية ذات ماهية وليست بالشيء العرضي، بل إنّ هيجل يذهب إلى أكثر من ذلك، وهذا عندما يؤكد أنّ الحرب ضرورية في حياة الدول والشعوب، لأنّ الدول تستيقظ وعيها في حالة الحرب، وبالتالي تصبح حالة نفسية باعثة على التجديد وحث الهمم على الفكر والفعل، يقول هيغل:" فللحرب ذلك المغزى الرفيع، إذ بفاعليتها –كما قلت في مكان آخر– تحافظ الشعوب على صحتها الأخلاقية، حيث تقف موقف لا مبالاة من المؤسسة المتناهية، تماما مثلما أنّ هبوب الرياح يحفظ البحر من التلوث الذي يوجد نتيجة لفترة طويلة من السكون، كذلك فإنّ فساد الأمم قد يوجد نتيجة لفترة طويلة من السكون، كذلك فإنّ فساد الأمم قد يوجد نتيجة لفترة طويلة من السلام دع عنك السلام الدائم، ولقد قيل أنّ تلك ليست سوى فكرة فلسفية، أو إذا شئنا استخدام تعبير آخر شائع، هي تبرير للعناية الإلهية، كما قيل أنّ الحروب التي حدثت بالفعل لازالت بحاجة إلى مبرر".

ولا شك أن الحرب عند هيغل مرتبطة بالحركة والنشاط، وأنّ السلم الدائم قد يخنق الإرادة ويمنع الفعل من التحقق، فالتراخي والتكاسل لا يمكنه أن يدفع الأمم إلى الأمام، بل إلى القهقري والتراجع، وفقدان السيادة، والتبعية للآخر، وإذا كان هيجل يمجد الحرب من أجل سيادة الدولة وحريتها واستقلالها عن الدول الأخرى، فإنّه من ناحية أخرى، وهذا هو الأخطر في نظرته للحرب أنّه يدعو الدولة ذات القوة العسكرية، والتي تعتدّ بشجعانها أن تنتقل من الدفاع الداخلي عن الدولة إلى غزو دول أخرى، يقول هيجل: «الأمر الذي يكون موضع نزاع بين الدول قد لا يكون إلاّ وجها جزئيا واحدا من علاقتها بعضها ببعض، وسبب وجود أمثال هذه المنازعات، فقد خصصت أساسا الطبقة الجزئية المكرسة للدفاع عن الدولة، لكن إذا ما كانت الدولة بما هي كذلك، وإذا ما كان استقلالها الذاتي يحيط به الخطر وإذا كانت

الدولة بكاملها في مثل هذه الظروف تحت السلاح وانتزعت نفسها من حياتها الداخلية للقتال في الخارج، فإنّ حرب الدفاع في هذه الحالة تتحول إلى حرب من أجل الغزو والفتح».

إننا لسنا في مستوى هذا الفيلسوف المفكر حتى ننتقده ونحن لا ندعي له كل الكمال كما لا ندعي له كل النقص، ولكن من خلال دراستنا هذه ارتأينا ان نقدم له بعض الانتقادات:

-لقد اعطى هيجل دور للحرب في حركية التاريخ وفي تطور الامم واعتبارها ضرورية في بعض الحالات وزعم ان لها قيمة أخلاقية تتفوق على القيمة الأخلاقية المسلم بها ويعكس منهج هيجل (المنهج الجدلي) فكرة هذا الصراع والذي هو صراع بين الأمم .

-وما يهمنا هنا هو أن هيجل قد ركز على تاريخ وحركيه التاريخ حول محور الصراع بحجه انه يدفع بالتطلعات الإنسانية حول السلام الى مواقع متدنية المشروعية، بمعنى أنه اذا بقيت فكرة هذا الصراع هي التي تقودنا نحو السلام فان هذا ما يؤدي الى القول بان هذا السلام له مواقع مشروعه لكنها متدنية واحتلال فكره السلام هذه المرتبة المتدنية بحجة انها ضرورة تاريخية لضرورة الصراع لكي نصل الى السلف وهذا كله ما يزود ويقوي انصار الحرب بمدد معنوي وإن كان هذا في الحقيقة سلاح حاد يختال ويقتل المعاني العظمى للإنسانية مثل الحب والعدل والسلام وفي هذا يرى كيركوجاردأن قول هيغل بالحتمية التاريخية هو ستار يتوارى وراءه كل جبروت وطغيان لأن كل حدث سواء كان إنسانيا أو غير انسانييتلاشى ويبتلع تماما في كل فتختلط الامور تماما يصبح المعنى الرديء كالمعنى الجديد أو كما يقول: " يصبح ما هو فاضح اخلاقيا لازما تاريخيا فيتجاهلوا التميز الحقيقي بين الخير والشر وهذا التميز يستند او يوجد فقط في الفرد وعلاقته بالله" .

- من المستحيل أن تقودنا الحرب إلى السلام فلم يثبت في التاريخ أن ثم سلاما كان مولود للحرب واذا كان للحرب مولود فهو الاستسلام، والاستسلام حالة ذل يقبلها الناس عن الكراهية وتحت سطوة القهر واداة للهلاك ويقبل الناس ذل الاستلام عندما تفرضه عليهم قوه غشوم مغلقة.

قائمة

المصادر والمراجع

- **1 – قائمة المصادر والمراجع:**
- **القرآن الكريم:**
- **أ–المصادر:**

- 1 – هيغل، فينومينولوجيا الفكر ،ترجمة وتعليق " مصطفى صفوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
- 2 – هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، العقل في التاريخ، ترجمةتقديم وتعليق، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط 3، 1983 .
- 3 – هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981 .

- **ب – المراجع:**

- 1 – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954
- 2 – إسحاق عبيد، الفرسانوالإقنان في مجتمع الإقطاع – مكتبة قورينا للشعر، ط 2، عام 1975 .
- 3 – إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2001 .
- 4 – أفانا سيف، أسس المعارف الفلسفية، دار التقدم، موسكو، 1979 .

- 5 – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، 1993.
- 6 – إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيغلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.
- 7 – إيزايا برلين، الحرية وخيانتها، الناشر بيمليكو، لندن، 2003 .
- 8 – بتراندراسل ،تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، ج 3، الهيئة المصرية العامة، 1977 .
- 9 – بطرس غالي ومحمود حيري مدخل إلى علم السياسة دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5، 1976 .
- 10– جاستونبوتول، الحرب والمجتمع، ترجمة عباس الشربيني، مراجعة وتقديم، د .محمد علي محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973 .
- 11 – جان بيار لوفيفربيار ماشيري، هيغل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1 ،1993 .
- 12 – حسين محمد سبيتي، أعلام فلسفة التاريخ، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، 1996 .
- 13 – برترندراسل، حكمة الغرب، ج 2، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983 .
- 14 – ريمون رويه، نقد المجتمع المعاصر، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1978 .

– رينيه سرو، هيجلوالهيجلية، ترجمة أودسين العكرة، دار الطليعة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993 .

16 –عباس محمد العقاد ،الشيوعية والانسانية، المكتبة المصرية، بيروت، د.ت .

17 – عبد الرحمان بدوي، المثالية الألمانية، شيلخ، دار النهضة العربية، 1965 .

18– عبد الله العروي، مفهوم الدولة، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 1961 .

19 – عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، 1959 .

20 – فؤاد زكريا، حكمة الغرب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ج2، 1983 .

21 – الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم الأستاذ: عبد الرحمان بوزيدة، موفم للنشر، 1990 .

22– فرانسوشاتليه: هيغل، ترجمة جورج صدقني، مراجعة فؤاد جورجي باربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط 2، دمشق، 1976.

23 – فريال حسين خليفة، نقد فلسفة هيغل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

24 – كامل محمد محمد عويضة، الأعلام من الفلاسفة، هيغل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993 .

25 – محمد عبد المعز نصر، الفلسفة السياسية عند الألمان (دراسة في الفكر الألماني الحديث) دار النهضة العربية للطباعة، النشر، بيروت، 1872 .

26 – معلم قربان، قضايا الفكر السياسي، الحقوق الطبيعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983 .

- 27– هيبوليت، مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيغل، ترجمة أنطوان جان حمصي، وزارة الثقافة، دمشق، ط 2، 1871 .
- 28 – وائل غالي، نهاية الفلسفة، راسة في فكر هيغل، دار الثقافة للنشرالتوزيع، القاهرة، ج 1، 1997 .
- 29 – ول ديبوارنت ،قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، بيروت .
- 30 – ولترستيس، فلسفة هيغل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، تقديم د. زكي نجيب محمود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1975 .
- 31 – A.H.Reybun: the etchicaltheory of hegel –A- study of the fhilosophy of right،oxford at the c laredonpress، London 67 .
- 32K.R.Popper: the opensociety and itsenemiesvoli.routledge،began ،paul ، London 1968
- 33- Hegl: lectures on the philosophy of historytrans by ; J sibree،London ،georgebell&sons،1990

- **الموسوعات :**

- 1 – روني إلى آلفا، موسوعة أعلام الفلسفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992
- 2 – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 2، ط2، بيروت، 1984 .

فهرس

المحتويات

مقدمة.....أ

الفصل الأول

دراســة مفاهيميـــــة

المبحث الأول: فلسفة هيجل ومفهوم الحرب.....2

أولا:هيغل حياته ومؤلفاته.....2

ثانيا:تعريفالحرب.....4

1-لغة.....4

2-اصطلاحا.....4

المبحث الثاني:المسار التاريخي لفلسفة الحرب قبل هيغل.....6

أولا:مفهوم الحرب عند اليونان.....6

ثانيا: مفهومالحرب عند الفلاسفة المسحيين.....7

ثالثا: مفهومالحرب عند فلاسفة الحداثة.....8

1-عند توماس هوبز.....9

2-عند جون جاك روسو.....11

3-عندايمانويل كانط.....12

الفصل الثاني

حقيقة الحرب واختلاف الآراء حول ظاهرتها والخلفية العامة للحرب

المبحث الأوَّل:كرونولوجية الحرب كظاهرة انسانية.....16

أولا، التسلسل التاريخي لظاهرة الحرب باعتبارها ظاهرة بشرية عند هيغل.....15
ثانيا،ظاهرة الحرب عند الديانات السماوية.....18
1-كتاب العهد القديم.....18
2-القرآن الكريم.....19
المبحث الثاني: طبيعة وحقيقة الحرب عند هيغل.....22
أولا- مفهوم الحرب عند هيغل.....22
ثانيا- الخلفية العامة لمفهوم الحرب عند هيغل.....30
ثالثا-اختلاف الآراء المختلفة لمفهوم الحرب عند هيغل.....40

الفصل الثالث
علاقة الفرد بالدولة وبالدول الأخرى في إطار الحرب

المبحث الأوَّل: مفهوم الدولة عند هيغل.....50
المبحث الثاني:الحرب وعلاقة الفرد بالدولة.....54
-الحرب وعلاقة الفرد بالدولة.....54
-التضحية والشجاعة كأسس لعلاقة الفرد بالدولة عند هيغل.....55
المبحث الثالث: الحرب وعلاقة الدول بالدول الأخرى.....63
أولا، الحرب حتمية ضرورية للعلاقات بين الدول.....63
ثانيا ،موقف هيغل من السلام الدائم.....67
الخاتمة: 70
قائمة المصادر والمراجع.....74
فهرس الموضوعات.....79